الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
جامعة محمد بوضياف –المسيلة–
كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية
قسم الفلسفة

الموضـــوع

الرؤية الإسلامية لمشكلة الحضارة

"زكي الميلاد أنموذجا"

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في الفلسفة

اعداد الطالبين :
- عـلال احمـــــد
- بن السني رشيد

اشراف الأستاذ :
- ارفيس علي

اللجنة المناقشة

الأستاذ خشعي عبد النور ..... جامعة المسيلة ..... رئيســـــا

الأستاذ ارفيس علـــــي ..... جامعة المسيلة ..... مشرفا و مقررا

الأستاذ بوراس يوسـف ..... جامعة المسيلة ..... مناقشـــــا

السنة الجامعية: (2018/2017)

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر و تقدير:

"كن عالما .. فإن لم تستطع فكن متعلما ، فإن لم تستطع فأحب العلماء ،فإن لم تستطع فلا تبغضهم"

الحمد لله ربي العالمين والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين وأشرف الخلق أجمعين سيدنا محمد وعلى آله وصبحه وسلم وبعد....

- بعد رحلة بحث و جهد و اجتهاد تكللت بإنجاز هاته المذكرة ، نحمد الله عز وجل على نعمه التي منَ بها علينا فهو العلي القدير ، كما لا يسعنا إلا أن نخص بأسمى عبارات الشكر و التقدير للأستاذ : "**علي أرفيس** " و الدكتور "**زكي الميلاد** " لما قدماه لنا من جهد و نصح و معرفة طيلة انجاز هذا البحث . كما نتقدم بالشكر الجزيل لكل من أسهم في تقديم يد العون لإنجاز هاته المذكرة ، و نخص بالذكر أستاذتنا الكرام الذين أشرفوا على تكوين دفعة فلسفة القيم لسنة 2018 .و اتوجه بالشكر الى كل من زرعوا التفاؤل في دربنا وقدموا لنا المساعدات والتسهيلات والمعلومات .

- وأقدم شكري الخالص لزميلي "**علال احمد**" الذي كان سندا كبيرا لي في مشواري في الجامعة , كما أتقدم بجزيل الشكر والامتنان الى صديقي ورفيق دربي "**موسى شيخاوي**" .

بن السني

إهداء

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين وأشرف الخلق أجمعين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم أجمعين، وبعد...

بدانا بأكثر من يد وقاسينا أكثر من هم وعانينا الكثير من الصعوبات و ها نحن اليوم والحمد لله نطوي سهر الليالي وتعب الإيام وخلاصة مشوارنا بين دفتي هذا العمل المتواضع **إلى**...

منارة العلم والامام المصطفي إلى الأمي الذي علم المتعلمين إلى سيد الخلق إلى رسولنا الكريم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم. ..**إلى** الينبوع الذي لا يمل العطاء إلى من حاكت سعادتي بخيوط منسوجة من قلبها إلى **والدتي العزيزة** التي لا يمكن للكلمات ان توفي حقها التي لا يمكن للأرقام ان تحصي فضائلها . **إلى** من سعى وشقى لأنعم بالراحة والهناء الذي لم يبخل بشيء من أجل دفعي في طريق النجاح الذي علمني أن أرتقي سلم الحياة بحكمة وصبر إلى **والدي العزيز**، **إلى** من حبهم يجري في عروقي ويلهج بذكراهم فؤادي إلى أخواتي وأخواني و اخص بالذكر اخي الكبير **"بلقاسم"** و اسهاماته التي كان لها الاثر العظيم في مشواري ..**إلى** من سرنا سوياً ونحن نشق الطريق معاً نحو النجاح والإبداع إلى من تكاتفنا يداً بيد ونحن نقطف زهرة وتعلمنا إلى أصدقائي **علال احمد و موسى شيخاوي** ، إلى من علمونا حروفا من ذهب وكلمات من درر وعبارات من أسمى وأجلى عبارات في العلم إلى من صاغوا لنا علمهم حروفا ومن فكرهم منارة تنير لنا سيرة العلم و والنجاح..

بن السني

شكر و تقدير

إلى...

أيادي العون..

هلال.

إهداء

إلى..

"روحه الطاهرة أبي"

هلال.

مقدمة

مقدمة

في ظل التغيرات التي شهدها العالم، خصوصا بعد الحرب الباردة من تحولات سياسة و اقتصادية وغيرها من المجالات، برزت أطروحات متعددة و مختلفة في محاولة منها بأن تضع الصورة المثلى التي ينبغي أن تكون عليها العلاقة بين الحضارات، ولعل أبرز هذه الأطروحات و التي أثارت جدلا واسعا، هي تلك الدعوة التي قال بها الأمريكي "صامويل هنتغتون" و التي أسماها "بصدام الحضارات"، فهي دعوة ترمي إلى أن يسود العالم حضارة واحدة مهيمنة في التاريخ الحضاري للإنسانية كونها تكرس التبعية الحضارية بسعيها إلى صهر الحضارات الإنسانية المختلة في قالب الحضارة الغربية، لكن الأمر لم يقف عند هذه الدعوة فقط، بل برزت دعوة أخرى ناقدة للدعوة الأولى، فهي دعوة غربية إسلامية تدعو إلى الحوار و إلى حضارة إنسانية قائمة على الحوار، و التي حاول صاحبها "روجيه غارودي" من خلالها تجسيد مشروع كوني، إلا أن مقولة حوار الحضارات تبدو أنها لم تتخلص من تلك الخصوصية الغربية.

في خضم هذه الدعوات حاول المفكر السعودي "زكي الميلاد" التصدي لمثل هذه الدعوات في محاولة منه إبراز ما فيها من ثغرات و ما انطوت عليه من مغالطات ، ليقدم مساهمة فكرية تجلت في سلسلة دراسات تكللت بطرح جديد يعبر عن رؤية إسلامية جديدة لمستقبل العلاقة بين الحضارات، و التي أسماها "بتعارف الحضارات".

حاول من ورائها إيجاد مخرج من خلال تجسيد التقارب والتسامح وتجاوز عقيدة الصراع واحترام الخصوصيات الحضارية، انطلاقا من خصوصيات الحضارة الإسلامية ، ومن هنا جاءت نظرية تعارف الحضارات المستنبطة من قوله تعالى :{**يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير** } (الحجرات :13) .

لقد انفرد "زكي ميلاد" بطرح إسلامي خاص جدير بالدراسة والتحليل والاهتمام وهو ما نحاول القيام به في بحثنا هذا الموسوم ب " **الرؤية الإسلامية لمشكلة الحضارة زكي الميلاد نموذجا**" ، و بالتالي فان غرضنا من هذه الدراسة هو توضيح نظرية زكي الميلاد الحضارية انطلاقا من الإشكالية التالية : **هل تمتلك مقولة التعارف الحضاري الخصائص و المؤهلات التي تأهلها بأن تكون بديلا فعليا عن مقولتي الصدام و الحوار ؟**

وتتفرع إشكاليتنا إلى أسئلة جزئية:

ما هي الخلفية التي قامت عليها نظرية تعارف الحضارات ؟ ما هي التحديات والصعوبات التي تعترض تحقيقها في الواقع؟ وإذا كان الصراع هو منطق الأقوياء وأحد أهم دعائم المنظومة الغربية فهل يتاح لهذه النظرية أن تحقق ما تهدف إليه؟

وللإجابة على هذه الإشكالية ارتأينا إلى تقسيم بحثنا وفق خطة منهجية تخدم إشكالية البحث،فجاءت على النحو الآتي:

تجلت خطة البحث في مقدمة وثلاث فصول وخاتمة:

جعلنا في المقدمة مدخل لدراسة هذه الفكرة الجديدة التي تشغل الفكر الفلسفي المعاصر بشكل ملفت،بالإضافة إلى إشكالية هذا البحث ، ثم تطرقا إلى أسباب اختيار الموضوع ، وكذلك الدراسات التي سبقتنا في دراسة هذه النظرية وأهم الصعوبات التي واجهتنا في انجاز البحث.

وفي الفصل الأول جاء بعنوان " مدخل للمشكلة الحضارة" تناولنا فيه ثلاثة مباحث، المبحث الأول تحت عنوان " مفهوم الحضارة" عرفنا الحضارة من الجانب اللغوي و الاصطلاحي و المبحث الثاني " مشكلة الحضارة في الفكر العربي" والمبحث الثالث "

مشكلة الحضارة في الفكر الغربي" من خلال تقديم نماذج تناولت الفكر الحضاري في الفكرين العربي و الغربي.

أما الفصل الثاني جاء بعنوان "الرؤية المستقبلية للعلاقة بين الحضارات من مبدأ الصدام و الحوار إلى مبدأ التعارف" و يندرج ضمنه ثلاثة مباحث: المبحث الأول تحت عنوان " هنتغتون و صدام الحضارات"، والمبحث الثاني بعنوان " حوار الحضارات الفكرة و المشروع" فعرضنا الأفكار المتعلقة بالمقولتين وصولا إلى المبحث الثالث و الذي جاء بعنوان تعارف الحضارات كبديل" تناولنا فيه نقد الميلاد للمقولتين و بعث مقولة جديدة في مقابلهما وهي التعارف.

أما بالنسبة للفصل الثالث فكان فصلا خاصا بنظرية تعارف الحضارات عند المفكر "زكي الميلاد" و الذي كان بثلاثة مباحث أيضا، و قد تطرقنا في المبحث الأول تعريف فكرة تعارف الحضارات ثم تطرقنا إلى الأسس التي قامت عليها النظرية بالإضافة إلى الأبعاد الإنسانية الحضارية التي تناولناها في المبحث الثاني , كما تطرقنا إلى واقع النظرية إشارة منا إلى أهم التحديات والصعوبات التي تواجه تحقيق نظرية تعارف الحضارات في الواقع، وعلاقة نظرية التعارف بالأنساق المعرفية الأخرى التي تشهدها الساحة الفكرية في هذا المجال وهذا في المبحث الثالث.

أما الخاتمة ففيها عرض لأهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة في سياق الإجابة عن الإشكالية المعالجة في هدا البحث.

منهج البحث

لقد تحدد منهج البحث المعتمد تبعا لطبيعة الموضوع المعالج , ومن هذا المنطلق فقد اعتمدنا إجمالا على المنهج التحليلي لتوضيح الخلفيات الفكرية التي ساهمت في بروز نظرية تعارف الحضارات، وذلك من خلال تحليل جملة من المفاهيم بغية تحليل

ما هو مركب إلى أجزائه وعناصره الأساسية حتى يتاح لنا معرفة جميع أبعاده، ولمعرفة شبكة المفاهيم الرئيسية في مشروع "زكي الميلاد " .

وبالإضافة إلى المنهج التاريخي من خلال تقصي نشأة فكرة الصدام وفكرة الحوار واستعملنا، المنهج المقارن لإيضاح التمايز بين النظرية التواصلية عند "هابرماس" ونظرية التعارف عند "زكي الميلاد".

أهمية الموضوع:

– إن موضوع العلاقة بين الحضارات من القضايا الحساسة والمعقدة التي يتداخل فيها الجانب العقائدي مع ما هو حضاري,وهي أيضا من القضايا الراهنة التي ما تزال تثير نقاشات حادة في الأوساط الفكرية على الصعيدين الغربي والعربي و التي لم يتم الفصل فيها بشكل نهائي .

– كما أن فكرة تعارف الحضارات تعد بحثا مهما ، فهي رؤية جديدة للموضوعات السائدة في العصر الحديث والتي تدور حول الحضارة بنية وشكلا بحيث لاقت اهتمام المفكرين والباحثين نقدا وتحليلا ، إذ تعبر عن رؤية إسلامية بحتة منهجا ومضمونا وهنا تكمن أهمية الأطروحة (تعارف الحضارات) المستنبطة من القرآن الكريم.

أهداف الدراسة:

من جملة الأسباب السابقة الذكر تبلورت أهداف الدراسة كالتالي:

– إضافة هذه الدراسة إلى مجال البحوث الأكاديمية كي تساهم في إثراء جانب من الجوانب القيمة المتعلقة بالفلسفة عموما وبمجال فلسفة الحضارة خصوصا.

– تحقيق قراءة علمية حول مسيرة "زكي الميلاد الفكرية وتنظيم أفكاره المتعلقة بمجال المسألة الحضارية حتى يتبين وجه تمييزها عن غيرها .

–كشف مدى مراعاة الطرح الإسلامي الأصيل للخصوصيات الثقافية لدى الحضارات الأخرى في إطار الدعوة للتعارف الحضاري ذو الخلفية الدينية المستنبطة من القرآن الكريم لتحقيق مستقبل ذو وجه إنساني عالمي عبر نشر الوعي بقيم التعارف لترميم التصدع الذي أصاب العلاقات الحضارية .

– التأكيد على إمكانية تحقيق التعايش السلمي دون نزاع في ظل التنوع والتعدد الثقافي لتعميم تبادل المنافع والإبداعات، لأن الإبداع ليس حكرا على شعب دون آخر , ولأن الحضارة هي ثمرة نتاج بشري مشترك .

أسباب اختيار الموضوع:

ومن أسباب اختيار هذا الموضوع :

الأسباب الذاتية:

- الرغبة في استكشاف الفكر العربي.
- الرغبة في تجاوز البحوث "الكلاسيكية" ان صح التعبير نحو التجديد.

الأسباب الموضوعية:

- الرغبة في تجاوز ثنائية الصدام والحوار والحد من تراكم السجال الفكري حولهما للانتقال إلى رؤية ثالثة مغايرة تجنبا سلبيات الصدام وتعزز إيجابيات الحوار عبر قيم التعارف الذي يعد موضوعا قائما على النظرة الإسلامية و باعتباره فكرة مستمدة من القرآن الكريم ,وبما أن القرآن الكريم شمولي الرؤية فهو لايميز فئة دون الأخرى، إذ يتميز بطابع الإنسانية التي لم تحققها النظريات السابقة .

- فضلا عن ذلك ماتزخر به أقطار العربية من نماذج فكرية فذة جديرة بالدراسة أمثال المفكر "زكي الميلاد "وهنا يتبادر إلى الأذهان السؤال التالي:لماذا زكي الميلاد؟
- **أولا** :زكي الميلاد من الأسماء الجديدة والصاعدة ,وله تجربة فكرية ثرية وفاعلة.
- **ثانيا:** له ارتباط فكري بالمفكر الجزائري "مالك بن نبي" بحيث الف كتابا بعنوان "مالك بن نبي ومشكلات الحضارة " وكتب عنه فصولا ودراسات ومقالات أخرى.
- **ثالثا** :لأن زكي الميلاد هو المؤسس الأول لفكرة تعارف الحضارات.

المصادر و المراجع:

أما عن المراجع والمصادر التي اعتمدناها في هذا البحث فقد تم توظيف أغلب مؤلفات زكي الميلاد : **تعارف الحضارات** ، **المسألة الحضارية** ...، بالإضافة إلى بعض المراجع التي تخدم الموضوع أهمها كتاب: **التغيير الحضاري وتنمية المجتمع** لمؤلفه "محي الدين صابر" ، و كتاب **حوارات من أجل المستقبل** لمؤلفه "طه عبد الرحمان".

الدراسات السابقة:

من أهم الدراسات السابقة حول موضوع الدراسة :

رسالة ماجستير في فلسفة الحضارة بعنوان :**(إشكالية مستقبل العلاقة بين الحضارات ....زكي الميلاد نموذجا)**من إعداد الباحثة شبلي هجيرة, إشراف الدكتور "عمراني عبد المجيد " جامعة الحاج لخضر ، كلية العلوم الإنسانية شعبة الفلسفة ، عالجت إشكالية العلاقة بين الحضارات بحيث اختلفت المواقف وردود الأفعال على تصور واقعي يرصد طبيعة هذه العلاقة في أعقاب جملة التغيرات التي شهدها العالم برمته في نهاية القرن العشرين و التي نوقشت بتاريخ 19 يونيو 2013م.

رسالة ماستر في فلسفة الحضارة بعنوان :(البعد الإنساني لفكرة تعارف الحضارات عند المفكر زكي الميلاد)من إعداد الطالبتين :سمية غريب وحنان بن صغير إشراف الدكتور "قويدري الأخضر"جامعة "عمار ثلجي" الاغواط كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، شعبة الفلسفة تخصص فلسفة الحضارة ، نوقشت بتاريخ 03يونيو 2015م، حيث بينت الدراسة أن لفكرة تعارف الحضارات بعدا إنسانيا يهدف إلى حماية حقوق الشعوب واحترامها وحفظ كرامتها .

- ونحن بدورنا نحاول من وراء هذه الدراسة المقدمة تكملة الجهود العلمية السابقة لفتح آفاق مجال البحث في نظرية التعارف للاستفادة منها.

ونحن نطمح لإيضاح القيمة الفكرية والحضارية للنظرية في ظل تظافر مختلف النخب الفكرية لوضع الآليات التي يفتقر إليها التعارف حتى يتسنى لنا تفعيله والانتقال به من حيز التنظير الفكري إلى حيز التطبيق العلمي .

صعوبات الدراسة:

لاشك في أن محاولة البحث في مثل هذا الموضوع لا تخلو من الصعوبات لاسيما وأن الموضوع يندرج ضمن القضايا الجديدة والمتجددة باستمرار والذي بات يطرح نفسه بقوة، وأيضا بحكم حداثة النموذج الفكري "زكي الميلاد" فيمكن حصر هذه الصعوبات فيما يلي :

غياب الدراسات السابقة والكتب المتخصصة حول "زكي الميلاد" ونظرية التعارف الحضارات ، باستثناء بعض البحوث والمقالات المنشورة على الإنترنت والتي تكرر نفس المضامين تقريبا،ولكن هذا لم يمنعنا من الاتصال عبر البريد الالكتروني بالمفكر "زكي الميلاد" والتواصل معه فلم يبخل علينا بإرسال كتبه القيمة لنا التي ساعدتنا في انجاز هذا البحث وتحديد الموضوع بدقة أكثر ، بحيث قدم لنا الدعم المتواصل على انجاز البحث

إلى أن قدمنا المذكرة على الشكل التي هي عليه ، ولا يدعي من وراء ذلك أننا قد أحطنا إحاطة شاملة بنظرية تعارف الحضارات لكننا حاولنا قدر الإمكان من الاجتهاد في تقديم بحث يساهم في تسليط الضوء على جانب من جوانب الفكر الفلسفي عموما و المتعلق منه بفلسفة الحضارة الإسلامية خصوصا.

الفصل الأول: مدخل للمشكلة الحضارة

-مدخل

-المبحث الأول : مفهوم الحضارة

-المبحث الثاني: مشكلة الحضارة في الفكر العربي

-المبحث الثالث:مشكلة الحضارة في الفكر الغربي

-نتائج

مدخل:

إن الدارس لحركة التاريخ على مختلف مراحله سواء التاريخ القديم أو الوسيط بل و حتى الحديث و المعاصر فما يسجله عن هذه الحضارات إما اندثار حضارات قد خلت أو حضارات قامت و مؤشراتها تشير على أنها ايالة إلى الزوال أو حضارات أخرى حديثة ناشئة قوية، مع تسجيل اختلاف في قومياتها و جغرافياتها و أديانها و ثقافاتها و مقومتها،و رغم هذا الاختلاف إلا أنها تتدرج جميعها ضمن الحضارة الإنسانية ،لكن الإشكال البارز هنا هو ما تعلق في مفهوم هذه الحضارات، وكيفية تفسير الحالات التي تكون فيها هذه الحضارات ، فيكون تساؤلنا الذي سنعالجه في فحوى هذا الفصل : **هل يمكن أن نقف عند مفهوم واحد و تفسير واحد للحضارة ؟.**

المبحث الأول : مفهوم الحضـارة

إن إجابتنا عن التساؤل ما معنى الحضارة؟ او ما مفهومها؟ نجد أنفسنا أمام تساؤل من الصعب الإجابة عنه، ما يدفعنا الأمر إلى البحث و التقصي عن إجابة لهذا التساؤل، فالبحث في مفهوم الحضارة يجعلنا نقف بين مفاهيم متعددة للمدلول ويرجع هذا التعدد إلى تعدد المفكرين و الكتاب المهتمين بالمجال الحضاري، وهذا ما يطرح إشكالية حول المفهوم، ولعل ذلك يرجع للخلفية الفكرية والتكوين المعرفي لهؤلاء المفكرين، مما أدى الأمر إلى عدم الاتفاق حول مفهوم محدد لمفهوم الحضارة.

لذا فان البحث في مفهوم الحضارة يتطلب منا تقصي الجذور الأولى للمصطلح و تتبع دلالته ، وعليه ارتأينا أن نقف على أصل المدلول اللغوي للفظ الحضارة من خلال الاعتماد على بعض المعاجم التي تناولت مفهوم الحضارة، كما تناولنا أيضا بعض من النماذج البارزة في المدلول الاصطلاحي للحضارة على الصعيدين العربي و الغربي، بالقدر الذي يسمح لنا في محاولة لتحديد معنى لمدلول الحضارة وجعله واضحا و قابلا للتعامل معه ضمن إطار البحث الذي نسعى إليه.

أولا/ المدلول اللغوي للحضارة:

1/الحضارة في اللغة العربية:

لقد جاء في معجم لسان العرب لابن منظور في مادة "حضر": الحضور: نقيض المغيب و الغيبة و الحضر خلاف البدو و الحاضر:خلاف البادي و الحاضر: المقيم بالبادية و الحضر و الحضرة و الحاضرة: خلاف البادية و هي المدن و القرى و الريف سميت بذلك لأن أهلها حضروا الأمصار و مساكن الديار التي يكون لهم بها قرار ...و الحضارة "و الحضار: الحي العظيم أو القوم[1].

وقد ورد في المعجم الوسيط (حضر) فلان حضارة:أقام في الحضرة و حضر الغائب حضورا:فدم (تحضر): تخلق بأخلاق أهل الحضر و عاداتهم[2].

و الحضارة بكسر الحاء و فتحها تعني الإقامة في الحضر و الحضارة: ضد البداوة وهي مرحلة سامية من مراحل التطور الإنساني و الحضارة مظهر من مظاهر الرقي العلمي و الفن و الأدب و الاجتماعي في الحضرة الحضر المدن و القرى و الريف (الحاضرة) خلاف البادية.

2/ الحضارة في اللغات الاجنبية:

يعود أصل اللفظة "civilisation" إلى الجذر اللغوي اللاتيني "civites" إلى معنى مدينة و "civis" بمعنى ساكن المدينة أو "civilis" بمعنى مدني أو ما يتعلق بساكن المدينةأين توجد مظاهر التمدن من صناعة و تجارة كما نجد لفظ "culture" يستعمل للدلالة على معنى الحضارة وهي مأخوذة عن اللاتينية عن الفعل "cultura"من فعل "colère" بمعنى حرث و نمى، فقد كانت دلالة الأصل اللاتيني في العصور القديمة و

[1] ابن منظور:**لسان العرب**،المجلد4،دار الصادر،بيروت، د.ت ،ص-ص196-197.

[2] ابراهيم انيس و اخرون: **المعجم الوسيط**،:معجم اللغة العربية ،ج2،ط2،مطابع دار المعارف،القاهرة،1973،ص-ص196-197.

الوسطى مقصورا على تنمية الارض و محصولاتها و التي نجد لها دلالة في لفظ agriculture..، وفي أوائل العصور الحديثة بدأت تستعمل في الإنجليزية و الفرنسية بمدلوليها المادي و العقلي مع إضافة الشيء المراد تنميته "la culture du blé" ومثلها في الإنجليزية، وفي القرن 18 أخذ الكتاب الفرنسيون " **فولتر**" و أقرانه يطلقون هذه اللفظة إجمالا دون إضافة إلى شيء معين و أصبحت لفظ "culture" بهذا المعنى المطلق تدل على تنمية العقل و الذوق[1].

ثانيا: الحضارة في المدلول الاصطلاحي:

1/ الحضارة في الاصطلاح العربي :

إن البحث في المدلول الاصطلاحي لمفهوم الحضارة لدى المفكرين العرب يجعلنا أمام عدة مفاهيم متعددة بتعدد المفكرين العرب المهتمين بالمجال الحضاري، وقد اقتصرنا على بعض النماذج البارزة في هذا المجال في محاولة منا أن نعطي مفهوما للحضارة من خلال النماذج التي سنتناولها و هي:

ا/ **ابن خلدون*** :يعتبر ابن خلدون من الأوائل الذين تناولوا المسألة الحضرية ، اذ ورد مصطلح الحضارة أو قريب منه في كتابه المقدمة، وكان بذلك أسبق بقرون ممن خاض في هذا الميدان من علماء الغرب، فقد استخدم ابن خلدون مصطلح "العمران البشري" ليشير به إلى الحضارة و الاجتماع الإنساني[2]، أين فرق ابن خلدون بين العمران البدوي و العمران الحضاري، ففي الماضي استخدم ابن خلدون لفظ العمران للدلالة علي مستوى الحياة التي يحياها الناس، وعد الحضارة غاية العمران ومنتهاه، خلاف اللبادية التي تمثل أول العمران ومبتدأه، وفي مرحلة الحضارة يكون الناس برأي ابن خلدون قد بلغوا حالة

[1] محمد ناصر عارف: **الحضارة، الثقافة، المدنية، دراسة لسير المصطلح و دلالة المفهوم**،ط2، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، عمان ،1994،ص33.

*ابن خلدون: هو عبد الرحمان بن محمد ابن خلدون (1332-1406)،ولد بتونس و من أشهر كتبه "كتاب العبر و ديوان المبتدأ و الخبر".

[2] سليمان الخطيب: **أسس مفهوم الحضارة في الإسلام**،ط1، الزهراء الإعلام العلابي، القاهرة،1986،ص10.

زائدة على الضروري من أحوا لمعاشهم تمكنهم من التفنن والترف وإحكام الصنائع المستعملة في وجوه الترف ومذاهبهم و المطابخ والملابس والمباني والفرش وسائر عوائد المنزل وأحواله وما تستدعيه أصناف الصنائع المستعملة من القوامة والمهارة فيها مع ما يسيغه تكرار هذه الصنائع على اتصال الأيام من استحكام ورسوخ لها[1] .

والمنحى الذي يذهب ابن خلدون إليه في مدلول لفظ الحضارة يشير إلى استعماله لفظ الحضارة للدلالة عل ينوع معين من الحياة يشبه إلى حد كبير مدلول لفظ المدنية في العصر الحاضر عند بعض الباحثين الذين يرون المدنية مجموعة المظاهر المادية التي تمثل مستوى إشباع الحاجات الإنسانية في المجتمع[2] .

ب/ مالك بن نبي*: اهتم مالك بن نبي بالفكر الحضاري و مشكلاته، فقد تناول الحضارة من مختلف النواحي، لذا نلمس عدة مفاهيم للحضارة التي عبر عنها في مختلف مؤلفاته بتفسيرات مختلفة، ولعل أبرز تعريف قدمه ابن نبي للحضارة هو قوله :" وفي استخدامنا للمصطلحات البيولوجية نجد أن الحضارة مجموعة من العلائق بين المجال الحيوي البيولوجي، حيث ينشأ و يتقوى هيكلها و بين المجال الفكري حيث تولد و تنمو روحها"[3].

ومن قول مالك بن نبي يتبين لنا مفهوم الحضارة لديه، إذ يعتبر الحضارة على أنها حاصل العامل المادي من جهة و العامل الروحي من جهة أخرى،و بالتالي الحضارة عند مالك بن نبي هي ناتج الحصاد العقلي و اليدوي و الروحي للمجتمع.

ج/ جميل صليبا* :لقد تطرق جميل صليبا في معجمه الفلسفي إلى مفهوم الحضارة اذ يرى أن الحضارة :" جملة مظاهر الرقي العلمي والفني والأدبي والتي تنتقل من جيل إلى

[1] عبد الرحمان بن محمد ابن خلدون: **المقدمة**، تحقيق: علي عبد الواحد وافي،ج2،ط7،دار نهضة مصر للنشر، مصر،2014.ص 538.

[2] محي الدين صابر: **التغيير الحضاري و تنمية المجتمع**، منشورات المكتبة العصرية،بيروت،د.ت،ص41

*مالك بن نبي: (1905-1973) مفكر جزائري و هو من رواد النهضة الفكرية الإسلامية و من أهم مؤلفاته: "شروط النهضة".

[3] مالك بن نبي: **شروط النهضة**،ط9، دار الفكر، سوريا،2009،ص50.

جيل في مجتمع أو مجتمعات متشابهة، وهناك حضارات قديمة وأخرى حديثة، شرقية وأخرى غربية، و الحضارات متفاوتة فيما بينها لكل حضارة نطاقها(aire) وطبقاتها (couches) ولغاتها (langues)."[1]،وبهذا يعتبر جميل صليبا أن الحضارة مقابلة للبداوة الخالية من مظاهر الرقي الإنساني و المتمثلة في المجالات العلمية و الأدبية و الفنية.

2/ الحضارة في الاصطلاح الغربي :

كما نلمس أيضا وجود تعدد مفاهيمي للحضارة على مستوى الاصطلاح الغربي وهذا التعدد باختلاف التوجهات الفكرية، وقد اقتصرنا على بعض النماذج الغربية البارزة في المجال الفكر الحضاري، في محاولة منا لوضع تصور واضح لمفهوم الحضارة.

ا/ اندري لالاند*: عرف لالاند الحضارة في موسوعته على أنها :" مجموعة ظواهر اجتماعية مركبة، ذات طبيعة قابلة للتناقل، تتسم بسمة دينية أخلاقية جمالية فنية تقنية أو علمية،ومشتركة بين كل الأجزاء في مجتمع عريض أو عدة مجتمعات مترابطة و الحضارة هي مجمل المرايا المشتركة بين الحضارات والتي تعد هي الأرقى و الأعلى .[2]

ب/ تايلور*: يعرف تايلور الحضارة قائلا :" أنها ذلك الكل المركب الذي يحتوي على المعرفة و المعتقد و الفن و الخلقيات و القانون و العادة و كل القدرات و اعتيادات أخرى يكتسبها الإنسان كعضو في المجتمع."[3]

*صليبا: جميل صليبا(1902-1976) كاتب و فيلسوف لبناني و من أهم مؤلفاته " تاريخ الفلسفة العربية ، المعجم الفلسفي"

[1] جميل صليبا: **المعجم الفلسفي**،ج1،دار الكتاب اللبناني،بيروت،1982،ص112

*اندري لالاند:(Andre Lalande) فيلسوف فرنسي (1876-1936) ومن أهم مؤلفاته الموسوعة الفلسفية.

[2] اندري لالاند: **موسوعة لالاند الفلسفية**، تعريب خليل احمد خليل، إشراف احمد عويدات، المجلد الأول، ط2، منشورات عويدات،لبنان، 2001،ص-ص172-173.

* تايلور:ادوارد بيرنت تايلور (1832-1917): انثروبولوجي انجليزي أهم مؤلفاته :" الثقافة البدائية"،" النثروبولوجية".

[3] عبد الله محمد امين:**الرؤية الاسلامية و المسالة الحضارية**، سلسلة كتاب الأمة العدد ،153،ط1،قطر،1434هـ،ص47

ج/ **ويل وايريل ديوارنت*:** يرى في موسوعته "قصة الحضارة" أن الحضارة عبارة عن نظام اجتماعي يعين الإنسان على الزيادة من الإنتاج الثقافي و تتكون من أربعة عناصر هي الموارد الاقتصادية و الاجتماعية التي تحكمها نظما سياسية وفق تقاليد خلقية، مع وجود متابعة من العلوم و الفنون[1].

[1] ويل وايريل ديوارنت: **قصة الحضارة**، تر:زكي نجيب محمود،ج1، دار الجيل للطبع و النشر و التوزيع، دت، ص 3.

المبحث الثاني: مشكلة الحضارة في الفكر العربي

لقد لقيت المسألة الحضارية بالغ الاهتمام لدى المفكرين العرب وفق رؤى مختلفة سعيا منهم إلى وضع تفسيرات في كل ما يخص المشكلة الحضارية، و لعل أبرز من تناول مشكلة الحضارة في الفكر العربي المفكرين عبد الرحمان ابن خلدون و مالك بن نبي، و سنحاول في ما يلي أن نقدم أبرز النقاط التي تطرقا إليهما في تفسيرهما للمشكلة الحضارية.

أولا: الرؤية الخلدونية لمشكلة الحضارة:

اهتم ابن خلدون بقضية الحضارة والعمران وبيان أسبابها ومظاهرها، وأسباب اندثارها وانحطاطها، وسوف نحاول في ما يلي أن نبين أبرز النقاط التي تناولها ابن خلدون في قضايا الحضارة و مشكلاتها.

1/ أسباب قيام الحضارة و العمران:

أ-**العامل الطبيعي:** يرجع ابن خلدون قيام الحضارة إلى السبب الطبيعي و الجغرافي، و يتجلى رأي ابن خلدون واضحا في المقدمة الثالثة و التي عنونها بعنوان " في المعتدل من الأقاليم و المنحرف و تأثير الهواء في ألوان البشر و الكثير من أحوالهم" فيفسر هذا بقوله:" قد بينا أن المعمور من هذا المنكشف من الأرض إنما هو وسطه لا إفراط الحر في الجنوب و لا البرد في الشمال،ولما كان الجانبان من الشمال و الجنوب متضادان في الحر و البرد ، وجب أن تندرج الكيفية من كليهما إلى الوسط، فيكون معتدلا في الإقليم الرابع أعدل للعمران ،والذي حافته من الثالث و الخامس أقرب للاعتدال، والذي يليهما من الثاني و السادس البعدين من الاعتدال والأول و السابع أبعد بكثير ، ولهذا كانت العلوم

و الصنائع المباني والملابس والأقوات بل و الحيوانات وجميع ما يتكون في هذه الإقليم المتوسطة مخصوصة بالاعتدال"[1].

ب- الانتقال من البداوة إلى الحضر :ثاني هذه العوامل التي تساعد في قيام الحضارة والعمران، الانتقال من طور البداوة إلى طور الحضارة ، فقد بين ابن خلدون أن أجيال البدو والحضر طبيعية، فاختلاف الأجيال في أحوالهم إنما هو باختلاف نِحْلَتِهِم من المعاش، فإن اجتماعهم إنما هو للتعاون على تحصيله والابتداء بما هو ضروري منه وبسيط قبل الحاجي والكمالي، فمنهم من يستعمل الفلح من الغراسة والزراعة، ومنهم من ينتحل القيام على الحيوان من الغنم والبقر، والمعز والنحل[2].

ج/ وجود سياسة ينتظم بها أمر العمران : يرى ابن خلدون أن الاجتماع البشري ضروري، وأنه لا بد لهم في الاجتماع ، وهذا الاجتماع لابد له أن يستند إلى وازع حاكم يرجعون إليه، وحكمه فيهم وقد بين ابن خلدون طبيعة هذا الوازع في قوله :" تارة يكون مستندًا إلى شرع منزل من عند الله يوجب انقيادهم إليه إيمانهم بالثواب والعقاب عليه الذي جاء به مبلِّغه؛ وتارة إلى سياسة عقلية يوجب انقيادهم إليها ما يتوقعونه من ثواب ذلك الحاكم بعد معرفته بمصالحهم، فالأولى يحصل نفعها في الدنيا والآخرة لعلم الشارع بالمصالح في العاقبة، ولمراعاته نجاة العباد في الآخرة، والثانية إنما يحصل نفعها في الدنيا فقط."[3]

ومن قول ابن خلدون يتضح لنا أن الوازع عند ابن خلدون بمثابة قانون يحكم و ينظم مصالح العباد الدنيوية و الأخروية، و الوازع عنده نوعان وازع شرعي منزل من عند الله والمتمثل أحكامه في القرآن والسنة،و وازع وضعي من تشريع الإنسان وهو ما يعرف

[1] عبد الرحمان بن محمد بن خلدون:**المقدمة**،ج1ط7،دار نهضة مصر للنشر،مصر،2014،ص-ص392-401

[2] المرجع نفسه،ص476.

[3] عبد الرحمان بن محمد بن خلدون:**المقدمة**،ج2،ص724

بالقانون الوضعي، فكلاهما يستند إليهما البشر في تنظيم أمورهم وإدارة مصالحهم الدنيوية و الأخروية.

د/ الثروة ودورها في الحضارة والعمران :المال عند ابن خلدون لا يعتمد على الحظ أو قراءة النجوم، أو وجود مناجم الذهب والفضة؛ يقول ابن خلدون: "اعلم أن كثيرًا من ضعفاء العقول في الأمصار يحرصون على استخراج الأموال من تحت الأرض، و يبتغون الكسب في ذلك، ويعتقدون أن أموال الأمم السالفة مختزنة كلها تحت الأرض مختوم عليها بطلاسم سحرية لا يفض ختامَها ذلك إلا من عثر على علمه، واستحضر ما يحله من البخور والدعاء والقربان"[1]، وقد أكد ابن خلدون أن الكسب والإنتاج والعمران لا يتحقق إلا بالعمل، فيقول: "فلا بد من الأعمال الإنسانية في كل مكسوب و متمول؛ لأنه إن كان عملاً بنفسه مثل الصنائع فظاهر، وإن كان مقتنى من الحيوان والنبات والمعدن، فلا بد فيه من العمل الإنساني كما تراه، وإلا لم يحصل ولم يقع به انتفاع " فالمال و الثروة عنده مظهر من مظاهر الحضارة و التمدن، والتي تتجسد في بناء المصانع و المباني و القصور،وسريان الحركة التجارية و مختلف مظاهر الترف[2].

2/ مراحل و أطوار الدولة عند ابن خلدون:

بعد أن تعرفنا على أسباب قيام الحضارة و العمران عند ابن خلدون، يجدر بنا الانتقال إلى مراحل و أطوار التي تمر بها الحضارات و الدول و الأجيال التي تتعاقب عليها.

[1] عبد الرحمان بن محمد بن خلدون:**المقدمة**،ج2،ص838

[2] المرجع نفسه،ص833

لقد أسس ابن خلدون فكرا حضاريا من خلال ما قدمه من أراء و نظريات تحكم العمران والدولة والحضارات عموما من نشأتها إلى غاية سقوطها،ولعل أبرز هذه النظريات تلك التي قدمها ابن خلدون فيما تعلق بالعصبية والدولة.

ا/نظريته في العصبية: يرى ابن خلدون في تفسيره للتاريخ أن التطور من سنن الله في الحياة، وأن أحوال العالم والأمم وعوائدهم ونحلهم لا تدوم على وتيرة واحدة، بل خاضعة للتطور وأهم ما يواجه التطور الاجتماعي والعمراني عند ابن خلدون هو نظرية في العصبية، فهي بمثابة المحور الذي تدور حوله المباحث التاريخية والاجتماعية عنده، فالعصبية بمفهوم ابن خلدون تعني تلك الرابطة واللحمة والشوكة القائمة على النسب والولاء فيقول ابن خلدون :" إن العصبية إنما تكون من الالتحام بالنسب أو ما في معناه، وذلك لأن صلة الرحم طبيعية في البشر إلا في الأقل، ومن صلتها النعرة على ذوي القربى والأرحام أن ينالهم ضيم أو تصيبهم هلكة... وذلك لآجل اللحمة الحاصلة من والولاء، مثل لحمة النسب أو قريب منها"[1]، وهذا فالعصبية عند ابن خلدون تكون أقوى في طور البادية، فهي خاصية جوهرية للقبيلة البدوية وأنها تتولد من القرابة بالأساس وهي تستند إلى وحدة النسب بالدرجة الأولى، كما يرى ابن خلدون أن العصبية لا تشمل الذين تربط بينهم رابطة الدم فحسب، بل تشمل أهل الولاء والحلف والموالي والمصطنعين و بها تتحقق الغلبة وبالغلبة يحصل الملك وهكذا تلعب العصبية دورا هاما في تأسيس الملك وتكوين الدولة[2]، وللإشارة يرى ابن خلدون أن العصبية التي تتأسس عليها الدولة والملك يمكنها أن تبقي الحكم أطول إذا استندت إلى الوازع الديني، فالدولة القائمة إذا كانت معتمدة على العصبية وحدها لا يمكنها أن تصمد طويلا حتى ولو كانت في أوج عزها أمام مطالبة عصبية قوية معززة بدعوة دينية، فقوة العصبية مستمدة أساسا من الالتحام

[1] محمد عابد الجابري:**فكر ابن خلدون العصبية و الدولة**،ط6،مركز دراسات الوحدة العربية،بيروت،1994،ص170

[2] زياد عبد الكريم النجم: **توينبي و نظرية التحدي و الاستجابة**، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، 2010ص40

الذي هو ثمرة النسب، فإذا أضيف إلى هذا الالتحام الاجتماعي التحام آخر روحي كانت العصبية من القوة بحيث لا يقف أمامها شيء[1] .

ب/ نظريته في الدولة والحضارة :

إن اطلاع ابن خلدون الواسع لتاريخ الدول والحضارات، جعل منه يؤسس لنفسه نظرية خاصة في الدولة من نشأتها مرورا بمراحل تطورها إلى غاية اضمحلالها، فيرى ابن خلدون أن الملك والدولة غاية العصبية، والحضارة غاية للبداوة و أن العمران كله من بداوة وحضارة له عمر محدود مثله مثل عمر الإنسان، فهو ينظر للدولة على أنها كائن حي يولد وينمو ثم يهرم ويفنى، وللدولة عمرها مثل الكائن الحي ولقد حدد صاحب المقدمة عمر الدولة بمائة وعشرين سنة وهي برأيه تتكون من ثلاثة أجيال وأن الدولة في الغالب لا تعدو هذه الأجيال الثلاثة، والجيل هو عمر شخص واحد من العمر المتوسط فيكون أربعين سنة مستندا في تحديد عمر الدولة إلى قوله تعالى :"**حتى إذا بلغ أشده وبلغ أربعين سنة**"[2] (الأحقاف الآية 15) ، وبهذا التفسير الخلدوني يتضح لنا النظرة الواقعية في منهج ابن خلدون كما يتضح لنا البعد البيولوجي في نظريته في الدولة، فالدولة عنده كائن حي يتطور كما تتطور جميع الكائنات الحية، فالدولة حسب تتعاقب على الأم في أجيل الثلاثة كما لها مراحل تمر بها وقد حددها في خمسة مراحل من مرحلة نشوئها إلى مرحلة أفولها[3].

فسنحاول فيما يلي أن نستعرض أهم ما جاء به ابن خلدون في المراحل والأجيال التي تخضع لها الدول و الحضارات:

[1] محمد عابد الجابري: **فكر ابن خلدون العصبية و الدولة**، ص –ص 183-185

[2] مصطفى النشار: **تطور الفكر السياسي القديم من صولون حتى ابن خلدون**، ط1، دار قباء،القاهرة ، 1999، ص300

[3] المرجع نفسه، ص301

الجيل الأول: وهو الجيل الذي المترع بالعصبية وبالشجاعة والتقشف يعيش حياة بدوية بعيدا عن حياة التمدن والترف.

الجيل الثاني: وهو الجيل الذي يتحقق على يده الملك والذي يؤسس الدولة فينتقل من الحياة البدوية الخشنة إلى حياة التمدن والترف.

الجيل الثالث: وهو الجيل الذي يكون زوال الدولة على يده بعد أن ينغمس في مظاهر التمدن والترف و يتناسى تلك العصبية البدوية[1] .

أطوار الدولة :

الطور الأول :وهو طور السعي في الملك والظفر به .

الطور الثاني : وهو طور الاستبداد والانفراد بالملك ومدافعة المنافسين.

الطور الثالث : وهو طور الفراغ والدعة والترف.

الطور الرابع : وهو طور القنوع بالملك والمسالمة.

الطور الخامس : وهو طور الإسراف والتبذير وفيه يحدث زوال الملك الدولة[2].

وما نستنتجه مما سبق أن الدولة عند ابن خلدون تتأسس في وجود العصبية التي بها يحصل الملك، وأن صمود الدولة وتطورها وحتى زوالها متعلق بمدى قوة وضعف العصبية نفسها.

[1] زياد عبد الكريم النجم: **توينبي و نظرية التحدي و الاستجابة**،ص-ص44-45

[2] مصطفى النشار: **تطور الفكر السياسي القديم من صولون حتى ابن خلدون**،302

ثانيا: مشكلة الحضارة في فكر مالك بن نبي

يعتبر مالك من الرواد المسلمين المعاصرين في الفكر الحضاري، إذ نجده قد خاض في مجالات عدة تاريخية واجتماعية و فلسفية وأطلع على فلسفات الحضارة الغربية الحديثة بغية إيجاد معالم العالم الإسلامي الممزق ووضعه الذي يرثى له ، فقد كانت انطلاقة مالك بني من التساؤل: ما هي الحضارة؟، فحاول أن يجيب على هذا التساؤل في سلسلة كتبه التي كانت تحت عنوان "مشكلات الحضارة"

1/ مفهوم الحضارة عند بن نبي :

إن بحثنا في مفهوم للحضارة في مؤلفات و فكر مالك بن نبي نجد أن الحضارة لا تأخذ تعريفا واحدا موحدا إذ نجده ينظر للحضارة من زوايا عدة، فتناول الحضارة تناولا أكثر شمولية و تغطية لها من حيث تركيبها و وظيفتها ، فيقول تارتا أنها عبارة عن:" مجموعة الشروط الأخلاقية و المادية التي تتيح لمجتمع معين أن يقدم كل فرد من أفراده في طور من أطوار وجوده منذ الطفولة إلى الشيخوخة المساعدة الضرورية في هذا الطور أو ذلك من أطوار نموه."[1]، فهنا ينظر مالك بن نبي إلى الحضارة من خلال الخدمات الأخلاقية و المادية التي يحصل عليها كل فرد من أفراد المجتمع هذا من جهة.

ومن جهة أخرى نجد أن مالك بن نبي ينظر إلى الحضارة على أنها هيكل و روح و حركة وظيفية ، فإذا كانت وظيفتها خدمة الإنسان ماديا و معنويا فهذا ليس معناه أنها ثابتة، بل هي حركة تاريخية متغيرة غايتها السير نحو ركب التقدم و الحياة الراقية وهذا :"ما نطلق عليه بالحضارة."[2].

كما ينظر للحضارة على أنها تتأسس وفق قطبين متلازمين لا ينفصلان فوجودهما ضروري لحياة الحضارة و نموها و توازنها هما الروح و الجسد، فلا حضارة بدون هيكل ولا هيكل بدون روح ، فالحضارة هي بناء توازن بين الروح و الجسد و هذا ما

[1] مالك بن نبي: **آفاق جزائرية**، ترجمة الطيب الشريف، مكتبة النهضة الجزائرية، الجزائر، د.ت، ص 47.

[2] مالك بن نبي: **ميلاد مجتمع**،ط6، دار الفكر، سوريا،2006،ص16.

عبر عنه مالك بن نبي بقوله :" و في استخدامنا المصطلحات البيولوجية حيث تنشأ و يتقوى هيكلها و بين المجال الفكري حيث تولد و تنمو روحها."[1]،وهنا يبين ابن نبي أن الحضارة تتأسس و تنمو من خلال التوازن الحاصل بين الجانب المادي لها و الجانب الروحي الفكري، فهي كمية حصادنا العقلي و اليدوي و الروحي، كما يعتبر مالك بن نبي أن الحضارة ليست فقط في مظاهرها المادية كالقصور والمباني و المصانع..الخ، بل هي قبل ذلك بناء فكري فهي:" إنتاج فكرة تطبع على المجتمع في مرحلة قبل التحضر و الدفعة التي تجعله يدخل التاريخ فيبني هذا المجتمع نظامه الفكري طبقا للنموذج المثالي الذي اختاره."[2]

2/ عناصر الحضارة عند مالك بن نبي :

يحدد مالك بن نبي العناصر المكون للحضارة في ثلاثة عناصر هي الإنسان و التراب و الوقت ، و يضيف عنصر رابع يمزج بين هذه العناصر الثلاثة و الذي يسميه بالفكرة الدينية، ولقد لخص مالك بن نبي الحضارة في معادلة رياضية وهي كالآتي:

الحضارة = الإنسان + تراب + الوقت.

وفي ما يلي سنوضح ما الذي يقصده بن نبي بهذه العناصر:

ا-الإنسان:

أولى مالك بن نبي عناية بالغة بالإنسان في معالجته لمشكلات الحضارة، انطلاقا من قيمته و دوره في التاريخ، و باعتباره الأساس الذي من خلاله تنطلق الحضارة في مراحلها الثلاثة، حيث يكون في البداية ساكنا خامدا ثم عنصرا حضاريا فعالا، أو جزئيا محروما من كل قوة دافعة عندما تبلغ هذه الأخيرة نهايتها المحتومة، و هي مراحل متدرجة تعبر عن حركة الإنسان حينما يستغل مابين يديه من عنصري التراب الوقت[3]و الإنسان عند مالك نبي يؤثر في المجتمع أو الحضارة بثلاث مؤثرات هي: الفكر، و العمل، و المال، و قضيته منوطة بتوجيهه في نواح ثلاث: توجيه الثقافة، توجيه العمل، توجيه رأس المال، و فكرة التوجيه هي قوة في الأساس و توافق في السير و وحدة

[1] مالك بن نبي: **شروط النهضة**، ص50 .

[2] مالك بن نبي : **مشكلة الافكار في العالم الإسلامي**،ط3،دار الفكر،سوريا،2009،ص49.

[3] الطاهر سعود: **التخلف والتنمية في فكر مالك بن نبي**، دار الهادي، بيروت، لبنان، 2006 ، ص207.

الهدف،يقول مالك بن نبي: ""فالتوجيه هو تجنب الإسراف في الجهد والوقت، فهناك الملايين من السواعد العاملة والعقول المفكرة في البلاد الإسلامية، صالحة لأن تستخدم في كل وقت، والمهم أن يدار هذا الجهاز الهائل المكون من ملايين السواعد والعقول في أحسن ظروفه الزمنية و الإنتاجية المناسبة لكل عضو من أعضائه، وهذا الجهاز حين يتحرك يحدد مجرى التاريخ نحو الهدف المنشود ، وفي هذا تكمن أساسا فكرة توجيه الإنسان الذي تحركه دفعة دينية، وبلغة علم الاجتماع: الذي يكتسب من فكرته الدينية معنى الجماعة ومعنى الكفاح"[1]، وحين يتحدث مالك بن نبي عن توجيه الثقافة فهو يدعو بداية إلى تحديد ما نحن عليه من أوضاع بطريقتين: الأولى سلبية تفصلنا عن رواسب الماضي، والثانية إيجابية تصلنا بمقتضيات المستقبل[2].

كما يرى بن نبي أن ثقافة الإنسان لا تكتمل إلا :" بتحقق أربعة أشياء: المبدأ الأخلاقي، و ذوق الجمال، و المنطق العملي، و العلم أو الصناعة، و هي مبادئ كفيلة بجمع شروط الفعالية."[3]،و يذهب مالك بن نبي في تحليل المحور الأول إلى أن المبدأ الأخلاقي هو روح الإسلام الذي يؤلف بين الناس و تؤدي إلى قوة التماسك الضرورية للمجتمع الإسلامي، هذه القوة تعبر عن الإسلام المتحرك في العقل و السلوك، و هي جديرة بأن تؤلف الحضارة المنشودة، و بذوق الجمال الذي ينطبع فيه فكر الفرد، يجد الإنسان في نفسه نزوعا إلى الإحسان في العمل، و توخيا للكريم من العادات و في حديثه عن محور الجمال، و هو محور تتهذب به الأنفس، و الطبائع، و تقوم به السلوكيات الراقية، وهو معيار مهم لتقدم الإنسان و فعله في محيطه، و الذي يتجلى في علاقته بأخيه الإنسان والأشياء، و البيئة، يقول: " ولا شك أن للجمال أهمية اجتماعية و يجب إعداده حتى يصبح المنبع الذي تنبع منه الأفكار، و تصدر عنه بواسطة تلك الأفكار أعمال الفرد في المجتمع، و الواقع أن أزهد الأعم الله صلة كبرى بالجمال، فالشيء الواحد قد يختلف تأثيره في المجتمع باختلاف صورته التي تنطق بالجمال،أو تنضح بالقبح، و نحن نرى أثر تلك الصورة في تفكير الإنسان و في عمله و في السياسة التي يرسمها

[1] مالك بن نبي: **ميلاد مجتمع**،ص84.

[2] المرجع نفسه،ص86.

[3]: مالك بن نبي: **تأملات**، دار الفكر المعاصر لبنان، دار الفكر سورية، 2009 ، ص 151.

لنفسه، بل حتى في الحقيبة التي يحمل فيها ملابس سفره، و لعل من الواضح أننا أصبحنا نفقد ذوق الجمال، و لو أنه كان موجودا في ثقافتنا، لسخرناه لحل مشكلات جزئية، تكون في مجموعها جانبا من الحياة"[1].

و يلح ابن نبي في المحور الثالث على الفعالية و هي ربط منطق الفكرة بمنطق العمل من أجل القضاء على العقم الاجتماعي، أو السلبية المجتمعية ، التي تجعل من المسلم يتكلم عن مبادئ القرآن الكريم و لا يعيش وفقها، و يتم ذلك تحديدا في معرض المقارنة بين الجيل الأول في الدولة الإسلامية، و الجيل المعاصر يقول :"ونحن أحوج ما نكون إلى المنطق العملي الذي يبين طريقة ارتباط العمل بوسائله و معانيه، لأن العقل المجرد متوفر، غير أن العقل التطبيقي الذي يتكون في جوهره الإرادة و الانتباه فشيء يكاد يكون معدوما، إننا نرى في حياتنا اليومية جانبا كبيرا من اللافاعلية في أعمالنا، إذ يذهب جزء كبير منها في العبث و المحاولات الهازلة"[2].

و يرى بالنسبة للمحور الرابع أن "الصناعة" :" ليست ذلك المعنى الضيق، فالمقصود من هذا اللفظ بصفة عامة في البلاد الإسلامية كل الفنون و المهن والقدرات و تطبيقات العلوم تدخل في مفهوم الصناعة، و أبسطها رعي الغنم و مما يدلنا على القيمة الاجتماعية لهذه الحرفة المتواضعة أن لها مدرسة أهلية في فرنسا، فلو رأينا الراعي الخريج من هذه المدرسة و الراعي العربي يقود كل منهما قطيعه لعلمنا أي فرق بينهما؟ ومن المسلم به أن الصناعة للفرد وسيلة لكسب عيشه و ربما لبناء مجده، و لكنها للمجتمع وسيلة للمحافظة على كيانه و استمراره"[3].

ب- التراب:

يعتبر التراب أحد العناصر الحضارية الهامة في معادلة مالك بن نبي وقد عالجه من جانبين:

- **المظهر القانوني**(التشريعي): يتصل الإنسان بالتراب من خلال صورة الملكية أي من حيث تشريع الملكية في المجتمع الذي يحقق الضمانات الاجتماعية.

[1] مالك بن نبي:**شروط النهضة**،ص-ص96-98

[2] المرجع نفسه، ص102

[3] مالك بن نبي: **مشكلة الثقافة**، دار الفكر، سوريا، 2006،ص88

- **المظهر الفني:** ويقصد به السيطرة الفنية والاستخدام الفني الذي تتيحه العلوم المختصة، كعلم التربة، أو الكيمياء...[1]

ويمكن القول أن التراب هو المحيط كله و الإنتاج الخاص، إنتاج الأنا المسلم ضمن هذا المحيط، حيث يتم تركيز التفكير في التعامل مع الظروف المحيطة بما هو متاح من إمكانات داخل المحيط نفسه، و هي قاعدة تدعو إلى التفكير في الإنتاج و استغلال المحلي و الوطني بكل الأساليب و الوسائل المشروعة، و يكون ذلك "على مستوى المصطلح أو الإنتاج فلا يمكن الاستعانة دائما بما أنتجه الآخرون بل محاولة تجاوز ذلك إلى التفكير في الإنتاج، و يتم مواجهة ذلك بإنتاج حضارة توظف كل الطاقات الاجتماعية الموجودة و تنشئ تدريجيا و سائلها الفنية بقدر ما تتخلص من رواسب و معوقات ما قبل الحضارة"[2]، و يقول بن نبي:"فجميع أنواع الحلول ذات الصيغة الاجتماعية التي نقتبسها عن بلاد أخرى ثبتت لها فيها صلاحيتها، و هي صحيحة في هذه البلاد على وجه التأكيد، و لكنها تقتضي عند التطبيق عناصر مكملة لا تأتي معها، و لا يمكن أن تأتي معها، لأنه لا يمكن حصرها، و لا يمكن فصلها عن المحيط الاجتماعي في بلادها، أي لا يمكن فصلها عن روحها، و إذن فلكي نواجه بطريقة فنية أية مشكلة اجتماعية، ينبغي ألا يقتصر عملنا على اقتراض الحلول التي تأكدت صحتها خارج بلادنا، إذ أن الصيغة المقتبسة صحيحة بلا أدنى شك، و لكن في إطارها الاجتماعي، وفي محيطها الذي تخلقت فيه"[3].

ج- الوقت :

يشير مالك بن نبي إلى أهمية الوقت فيثمنه في جل مؤلفاته، وعادة ما يقرنه بالتجارب الناجحة في الدول الأوروبية و الأسيوية التي قامت باستغلاله و توظيفه بطريقة منظمة عبر المخططات و الاستراتيجيات التي تنبع من مدارسها الفكرية و الاقتصادية و الاجتماعية.

---

[1] الطاهر سعود: **التخلف والتنمية في فكر مالك بن نبي**،ص222

[2] مالك بن نبي: **تأملات**، ص 62

[3] مالك بن نبي: **ميلاد مجتمع**، ص 103

ويرى مالك بن نبي أن الوقت نهر قديم يعبر العالم، ويؤكد على أهميته، لكنه يقف بحسرة على موقعه من العالم الإسلامي، ليؤكد المشهد المزعج بعد عقد مقارنات مع دول متحضرة تحترم الوقت كما تحترم نفسها، يقول:" فنحن في العالم الإسلامي نعرف شيئا يسمى(الوقت)، ولكنه الوقت الذي ينتهي إلى عدم ،لأننا لا ندرك معناه ولا تجزئته الفنية، لأننا لا ندرك قيمة أجزائه من ساعة ودقيقة وثانية، ولسنا نعرف إلى الآن فكرة الزمن الذي يتصل اتصالا وثيقا بالتاريخ،...وبتحديد فكرة الزمن يتحدد معنى التأثير والإنتاج، وهو معنى الحياة الذي ينقصنا،... فالحياة والتاريخ الخاضعان للتوقيت، كان وما يزال يفوتنا قطارهما، فنحن في حاجة ملحة إلى توقيت دقيق، وخطوات واسعة لكي نعوض تأخرنا"[1].

ويرى مالك بن نبي، أن من ضرورات تثمين الوقت هو العمل على توجيه الطاقات والقوى المتوفرة في المجتمعات العربية والإسلامية، والتي لم تستخدم للوصول إلى الهدف المنشود، "فهناك ملايين السواعد العاملة والعقول المفكرة في العالم الإسلامي، صالحة لأن تستخدم في كل وقت،والمهم أن يدار هذا الجهاز الهائل المكون من ملايين السواعد والعقول في أحسن الظروف الزمنية والإنتاجية المناسبة لكل عضو من أعضائه، وهذا الجهاز حين يتحرك فإنه يحدد مجرى التاريخ نحو الهدف المنشود[2]".

[1] مالك بن نبي: **شروط النهضة**، ص-ص 145،146

[2] المرجع نفسه ،ص84

د-الفكرة الدينية:

يثبت مالك بن نبي من خلال كتاباته أن الدين عنصر مهم في بناء أي حضارة، ويستشهد بصور عديدة من المحيط الأجنبي والمحيط الإسلامي، وتأثر كليهما ببعض في تطوير بعض البنى الحضارية، من علوم مادية وتجريبية، إلى علوم اجتماعية وإنسانية، فرؤية بن نبي للدين كفاعل أساسي في الحضارة حقيقة مثبتة وليست مجرد عاطفة عابرة بحكم الانتماء إلى المعتقد، يقول :" كلما أوغل المرء في الماضي التاريخي للإنسان في الأحقاب الزاهرة لحضارته،أو في المراحل البدائية لتطورها لاجتماعي وجد سطور امن الفكرة الدينية ، ولقد أزهر علم الآثار بقايا لها خصصها الإنسان القديم لشعائره الدينية،أيا كان تتلك الشعائر ولقد سارت هندسة البناء من كهوف العبادة في العصري الحجري، إلى عهد المعابد الفخمة جنبا إلى جنب مع الفكرة الدينية التي طبعت قوانين الإنسان بل علومه فولدت الحضارات فيظل المعابد...ومن هناك كانت تشرق هذه الحضارات لكي تنير العالم، وتزدهر في جامعاته ومعامله"[1].

وتقوم الفكرة الدينية التي رافقت تركيب الحضارة خلال التاريخ بمزج وتجاوب عناصر ثلاثية مع بعضها البعض هي :الإنسان والتراب والوقت، هذا المزج يعفي بعض المجتمعات من تكديس ما تنتجه الحضارات الأخرى ويدفع بها إلى محاولة البناء والتعويل على الذات " إن المقياس العامل عملية الحضارة ليلقي لنا ضوءا كاشفا على السلبية النسبية وانعدام الفاعلية في جهود المجتمع الإسلامي، إن المقياس العام في عملية الحضارة هو أن الحضارة هي التي تلد منتجاتها، وسيكون من السخف والسخرية حتما أن نعكس القاعدة حين نريد أن نصنع حضارة من منتجاتها"[2].

[1] مالك بن نبي :**الظاهرة القرآنية**،ط9،دارالفكر،سوريا،، 2009 ،ص69

[2] مالك بن نبي: **شروط النهضة**،ص47

المبحث الثالث : مشكلة الحضارة في الفكر الغربي

أولا: الحضارة من منظور شبنغلر:

حقق شبنغلر* شهرة كبيرة في النصف الأول من القرن العشرين، و ذلك بعد تأليفه لكتابه " انحلال الغرب" "The decline of west"و الذي عرض فيه فلسفته الحضارية، و كما يعتبر هذا الكتاب جوهر مؤلفاته الفكرية، و قد حضي بمكانة هامة في الفكر الغربي بعد أن استقطب الكثير من المهتمين بالفكر الحضاري.

1/ المدنية و الحضارة في فلسفة شبنجلر الحضارية:

ا/ مفهوم المدنية : لقد ميز شبنغلر بين مفهوم المدنية و مفهوم الحضارة، و ذلك لأن استخدام كلا المفهومين للتعبير عن التتابع الدوري لحركة التاريخ، فالمدنية هي المصير المحتوم للحضارة تبلغها بضرورة باطنية و قوة داخلية، لا تستطيع أن تقف في وجهها أي إرادة أو عقل، فالمدنية كما تصورها شبنغلر:"هي بداية النهاية للحضارة و هذا يعني أن المدنية هي الواقعية بدلا من احترام التقاليد هي الدين العلمي لا دين القلب، و يترتب على ذلك أن المثل الأعلى للحياة يصبح متجسدا في القضايا المادية و هنا ينشأ التعارض بين هذه المدنية و جميع التقاليد الممثلة للحضارة"[1].

ومن خلال هذا التصور الذي قدمه شبنغلر عن المدنية يتضح لنا أن المدنية التي يقصدها تتجلى في المظاهر المادية لمنتجات العلم و التي يقابلها في ذلك المظاهر الروحية المتجسدة في العادات و التقاليد و القيم السائدة داخل الحضارة.

*شبنجلر:Osivald spengler (1880-1963) مؤرخ و فيلسوف ألماني أهم مؤلفاته كتاب "تدهور الحضارة الغربية"

1زياد عبد الكريم النجم: **توينبي و نظرية التحدي و الاستجابة**،،ص-ص53-54.

ب/ مفهوم الحضارة : إن بحثنا في مفهوم الحضارة عند شبنغلر نجد أنه قد قدم تصورا للحضارة مشابها لما هو عليه الكائن الحي،فهو يعتبر أن المراحل التي يمر بها الكائن العضوي من مولد ونمو و موت، هي نفسها المراحل التي تمر بها الحضارة فلها طفولتها و شبابها و نضجها و شيخوختها[1]،وبهذا التصور الذي قدمه شبنغلر للحضارة بتشبهها بالكائن العضوي، يتبين لنا أن ميلاد الحضارة و نموها و ازدهارها ثم اضمحلالها ما هي إلا عملية بيولوجية مثل ما تشهده الكائنات الحية فتاريخ كل حضارة هو تاريخ كل إنسان سواء بسواء، و بذلك يكون التاريخ العام ترجمة لحياة هذه الحضارات التي تعتبر تراكيب عضوية[2].

فإذا كان هذا تصور شبنغلر للحضارة فكيف تنشأ و تضمحل الحضارة حسبه ؟

لقد نظر شبنغلر على أن ميلاد الحضارة يكون :" في اللحظة التي تستيقظ روح كبيرة و تنفصل على الحالة الروحية الأولية للطفولة الإنسانية الأبدية، كما تنفصل الصورة عما ليس له صورة كما ينبثق الحد و الفناء من اللامحدود و البقاء و هي تنمو في تربة بيئية يمكن تحديدها تمام التحديد، تظل مرتبطة بها ارتباط النبتة بالأرض التي تنمو فيها و تموت الحضارة فيها تكون الروح قد حققت جميع ما بها على هيئة شعوب و لغات و مذاهب دينية و فنون ودول وعلوم و من تعود للحالة الروحية الأولية"[3]،ومن قول شبنغلر يتضح لنا أن ميلاد الحضارة يكون في لحظة الانفصال عن الحالة البدائية في وجود مقومات لقيامها كالدين و اللغة و العلوم ...الخ و التي تشكل القوة الروحية لها.

فالحضارة من منظور شبنغلر عبارة عن "روح زاخرة بالإمكانيات تأتي إلى الوجود في بيئة خارجية بها الكثير من القوى في حالة فوضى، فتشرع في التأكيد على صورتها

[1] زياد عبد الكريم النجم: **توينبي و نظرية التحدي و الاستجابة**،ص56.

[2] اوالد شبنجلر:**تدهور الحضارة الغربية**،تر/احمد الشيباني،ج1، دار المكتبة لبنان،ص-ص87-95.

[3] عبد الرحمان بدوي: **موسوعة الفلسفة** ،ج1،ط1، المؤسسة العربية للدراسات و النشر،بيروت،1984،ص19.

ضد هذا الخليط ثم تفرض صورتها عليه، و هنا يصبح تاريخ حياة هذه الحضارة هو تاريخ هذا النضال بينها و بين تلك القوى، و في أثناء ذلك يتحقق العديد من الأوضاع"[1].

وهذا يعني أن الميلاد المتجدد للحضارة يفترض وجود عوامل خارجية، هذه الأخيرة تعمل على استثارة هذه الروح التي تزخر بالقوة الكامنة في داخلها، فهذه العوامل قد تكون قوى خارجية أو ضغط بشري معاد، فتكون الحضارة هنا أمام ثلاثة حالات:

الحالة الأولى : حالة ولادة حضارية جديدة نتيجة استثارة قوى أجنبية معادية.

الحالة الثانية : حالة التشكل الكاذب للحضارة، و يكون هذا عندما تتلاشى حضارتان إحداهما أكثر قوى و الثانية حضارة عريقة تملك مقومات الإبداع و الابتكار فتضطر هذه الأخيرة الخضوع للحضارة الأولى ماديا.

الحالة الثالثة : تحدث عندما تتلاقى حضارة عريقة قادرة على الإبداع و الابتكار بحضارة لزالت في المهد، فتقوم الحضارة الأولى بخنق الحضارة الثانية و إخضاعها لها[2].

2/منهج شبنغلر في دراسة تاريخ الحضارة:

يمكن أن نلخص منهج شبنغلر في دراسة تاريخ الحضارة في مجموعة من النقاط هي كالتالي :

ا/ يعتبر شبنغلر الحضارة على أنها وحدة تاريخية و ليست الدولة كما يرى ابن خلدون، و هذا يعني أنه لا يمكن أن نفهم حركة التاريخ إلا باعتباره مسارا مكون من مجموعة من الحضارات التي تتعاقب بشكل دوري.

[1] عبد الرحمان بدوي: **اشبنجلر**، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة 1941،ص-ص98-99.

[2] زياد عبد الكريم النجم: **توينبي و نظرية التحدي و الاستجابة**،ص-ص62-63.

ب/ و لما كان لكل حضارة كيانها الخاص و التي تنفرد به عن غيرها من الحضارات الأخرى فهذا يعني أن كل حضارة ما هي إلا بيئة مغلقة عن ذاتها و بذلك فلا سبيل للاتصال بين حضارة و حضارة أخرى.

ج/ و على الرغم من تفرد كل حضارة بخصائصها الذاتية و التي هي تعبر عن روح الحضارة، فإن المظاهر المعبرة عن الحضارة الواحدة، تناظر تلك التي تكشف عنها سائر الحضارات [1].

ثانيا: الحضارة في فلسفة ارلوند توينبي

يعتبر ارلوند توينبي* مؤرخا و فيلسوفا،كونه عكف على دراسة التاريخ تفسير أو تحليلا، فلم تكن دراسته للتاريخ عبثا، و إنما من خلال نظريات مؤسسة في فهم حركة التاريخ و الأمم و التي عرضها في مؤلفاته ، و سنحاول في ما يلي أن نبرز مكانة الحضارة في فلسفته التاريخية بالاستناد ما قدمه في دراسته للتاريخ.

1/ مفهومه للحضارة :

ببحثنا عن مفهوم الحضارة عند توينبي نجد أنه لا يضع تعريفا واحدا ومحددا للحضارة، ولعل أبرز التعاريف التي عرف بها الحضارة هو قوله :" هي مجموعة بشرية اجتماعية ثقافية ذات مقاييس وأبعاد كبيرة."[2]

فالحضارة تأخذ مكانة هامة في الدراسات التاريخية في منهج توينبي، ففي دراسته للتاريخ انطلق من مبدأ أساسي و هو أن الحضارة هي الوحدة الحقيقية للدراسة التاريخية،

---

[1] زياد عبد الكريم النجم: **توينبي و نظرية التحدي و الاستجابة**،ص-ص58-59.

*توينبي:ارلوند جوزيف توينبي (1889-1975) مؤرخ و فيلسوف انجليزي و من أهم مؤلفاته موسوعة "دراسة التاريخ"

[2] هدى بوفصية:**دور الدين في بناء الحضارة في فلسفة ارلوند توينبي– المسيحية انموذجا**- ، مذكرة ماجستير، اشرف د.موسى معيرش، قسم الفلسفة، كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية، جامعة الإخوة منتوري، قسنطينة، 2008/2007، ص38

فيعتبر هذا المبدأ حجر زاوية في المنهج الذي يأخذ به في دراسة التاريخ و يعني هذا المبدأ أن الحضارة بأسرها هي الوحدة الأساسية للدراسة التاريخية، و على هذا انتقد توينبي نهج المؤرخين الذين يتخذون من الدول و الأمم القومية مجالا للدراسة التاريخية[1]، فجعل من الحضارة الوحدة القابلة للفهم إذ يقول :" يمكن أن نعرف الحضارة كوحدة معقولة للدراسات التاريخية."[2]،فهو يرى أنه من الصعب في ظروف العالم الحديث النظر إلى تاريخ دولة أو أمة مفردًا، بمعزل عن التاريخ العالمي، ففهم تاريخ أمة ما يقتضي فهم التاريخ العام الكلي.

2/ الحضارة و نظرية التحدي و الاستجابة:

ا/ قيام الحضارات و ارتقائها:

بحث أرنولد توينبي في تاريخ الحضارات بحثا مفصلا الذي دام أكثر من أربعين سنة قدم دراسته في موسوعته "دراسة التاريخ" و التي تتألف من 12 مجلدا، ويبدأ توينبي في عرضه لسير هذه الحضارات الإنسانية، بالقيام كمرحلة أولى، فهو يفسر نشأة الحضارات من خلال نظريته الشهيرة "التحدي والاستجابة"، فما علاقة هذه النظرية بنشوء الحضارة؟

لقد انطلق توينبي في دراسته لحركة التاريخ بتميزه لنوعين من المجتمعات مجتمعات بدائية و مجتمعات حضارية، فيعتبر توينبي أن المجتمعات البدائية هي مرحلة تمهيدية أولى للمجتمعات الحضارية،إذ يرى أن المجتمعات البدائية تخضع لمجموعة من التحديات الصعبة و التي يقابلها في ذلك مجموعة من الردود أو استجابات، فتكون هذه التحديات

[1] نيقين جمعه علم الدين: **فلسفة التاريخ عند ارلوند توينبي**، الهيئة المصرية للكتاب،مصر،1991، ص105

[2] هدى بوفصية :**دور الدين في بناء الحضارة في فلسفة ارلوند توينبي– المسيحية انموذجا**- ،ص2

بمثابة حافز للانتقال من الحالة البدائية إلى الحالة الحضارية[1]، ولقد ميز توينبي نوعان من التحديات التي تخضع لها المجتمعات البدائية و هي:

ا/تحديات خاصة بالبيئة الطبيعية : إن التحديات بالبيئة القاسية و الظروف الطبيعة الشاقة بالإضافة،إلى تلك الظروف المتعلقة بالأرض الجديدة البكر كل هذه الظرف التي تواجه هذه المجتمعات البدائية تدفع الإنسان إلى تعديل بيئته للاستفادة من خيراتها و بناء حضارته[2]، فهذا التحدي البيئي يعتبر مظهر من مظاهر الحياة البدائية فهو بمثابة حافز للإنسان البدائي والذي ينتج عنه استجابة التي من شأنها مواجهة هذه التحديات و التغلب، عليها مما يجعل المجتمع يدخل في مرحلة أخرى وهي مرحلة الحياة الحضارية.

ب/ تحديات خاصة بالبيئة البشرية : و هنا نلمس نوعان من التحديات أولهما تحدي داخلي و الأخر خارجي،فالأول هو تحدي نابع من داخل الكيان الاجتماعي و الثاني يتأتى من خارج الحدود الجغرافية للمجتمع، و على هذا ينتج لنا ثلاثة دوافع وهي:

– الدافع الناتج عن الضربات و التي ما تكون ناتجة عن هزائم الحروب والتي تعطي للجانب المهزوم استجابة في أن يعيد ترتيب نفسه من جديد.

– الضغوط كدافع: يقصد توينبي بهذا تلك التحديات الخارجية و التي تتجلى في شكل ضغوط مما ينتج عن هذا الضغط الخارجي استجابة في مجابهة التحدي الخارجي.

– العقوبات كدافع : و يتمثل هذا في التحدي الداخلي الذي حدث داخل جزء من المجتمع ،لكن هذا الجزء من المجتمع يفقد القدرة على مواجهة هذا التحدي فيحول وجهته إلى نشاط أخر أين يتمكن في الإبداع فيه[3].

[1] نيقين جمعه علم الدين: **فلسفة التاريخ عند ارلوند توينبي**، ص 106

[2] زياد عبد الكريم النجم: **توينبي و نظرية التحدي و الاستجابة**، ص 99

[3] المرجع نفسه، ص–ص100–102

وهكذا يبرز توينبي دور هذان العاملين الطبيعي و البشري في نشوء الحضارة من خلال تلك التحديات التي تفترض ردود على شكل استجابات، مما يعني هذا ان انتقال المجتمعات من الحالة البدائية يتوقف على مدى تلك الاستجابات و هذه الاستجابات تعبر عن حركة ديناميكية،و التي تنتقل فيها المجتمعات من حالة ركود إلى حالة الحركة، و يرى توينبي أن هذا التحول بمثابة قانون ثابت يحكم حركة المجتمعات والحضارات من الحالة البدائية النائمة إلى حالة حضارية مستيقظة[1].

فالحركة الانتقالية من الحالة البدائية هو بمثابة المرحلة الأولى و المتمثل في نشوء الحضارة، و بعد ذلك تليها مرحلة ثانية و هي مرحلة النمو و الارتقاء للحضارة فقد لاحظ توينبي في دراسته للحضارات التي نشأت بتميزه لنوعان من الحضارات التي دخلت مرحلة النشوء وهما :

أولهما تلك الحضارات التي لم تستطع الصمود أمام تلك التحديات البشرية و الطبيعية، فيسمي توينبي هذه الحضارات " بالحضارات المتعطلة" فهي التي لم تستطع مواصلة نموها نتيجة صعوبة تلك التحديات و عدم حدوت استجابات لها،و الأخرى هي تلك الحضارات التي واصلت نموها بتخللها لحالتي "الين" و "اليانج" فهي في تحديات متجددة يصاحبها في ذلك استجابات لها أيضا، فهي بذلك في ارتقاء مستمر، فالارتقاء الحقيقي حسب توينبي هنا لا يكون بتلك التحديات الخارجية سواء المتعلقة بالبيئة الطبيعية أو البشرية،بل الارتقاء الحقيقي يكون بالاستجابات التي تكون بالتحديات الداخلية، فطبيعة الارتقاء إذن تكمن في تقرير المصير في التحول الروحي، بمعنى انتقال التحديات من البيئة الخارجية إلى الداخلية أي إلى ما هو روحي[2].

[1] نيقين جمعه علم الدين: **فلسفة التاريخ عند ارلوندو توينبي**، ،ص109

[2] زياد عبد الكريم النجم: **توينبي و نظرية التحدي و الاستجابة**،ص 103

و ما نستنتجه في ارتقاء و نمو الحضارة حسب توينبي أنه متعلق بما تتلقاه من تحديات متجددة و ما يصاحبه من استجابات، ما يعني أن الحضارة في تحديات مستمرة،فبالتالي النمو المستمر للحضارة ما هو إلا استجابات للتحديات المستمرة كما يرى توينبي أن الارتقاء الحقيقي يكون متعلق بالاستجابات لتلك التحديات النابعة من كيان الحضارة سواء الطبيعية منها أو البشرية.

ب/ سقوط الحضارات و انحلالها :

بعد المرحلة الأولى وهي مرحلة النشوء و المرحلة الثانية و هي مرحلة النمو و الارتقاء تأتي مرحلة ثالثة تمر بها الحضارة و هي مرحلة السقوط، و هذه المرحلة الثالثة بدورها تنقسم إلى مرحلتين: مرحلة الانهيار و مرحلة الانحلال،و قد ميز توينبي بين هذين المرحلتين إذ يعتبر أن بعد مرحلة النشوء تأتي مرحلة النمو و الارتقاء من ثم تليها مرحلة السقوط، وهذه المرحلة الأخيرة أي مرحلة السقوط بها مرحلتين ثانويتين الأولى الانهيار وهي مرحلة أولى من مرحلة السقوط و هي تعبر عن حالة بدائية للانهيار،الذي يتوالى إلى أن تصل إلى حالة نهائية متمثلة في الاضمحلال و الانحلال، فما هي عوامل سقوط و انحلال الحضارة حسبه ؟.

عوامل انهيار الحضارة :

إن الحضارة حسب توينبي تنهار بسبب عوامل داخلية بالدرجة الأولى إذ يقول توينبي:" هيا نثبت معا بأنّ الحضارات قد اندثرت ولكن ليس من قبل غزاة أغاروا عليها ولكن دمارها كان قد انبثق من داخلها."[1]، وبهذا ينفي توينبي بأن تكون العوامل الخارجية عاملا من عوامل انهيار الحضارة ،فهو يرجعها للعوامل الداخلية بالأساس و هذه العوامل حددها توينبي في ثلاثة عناصر وهي :

[1] نيقين جمعه علم الدين: **فلسفة التاريخ عند ارلوند توينبي**، ص-ص 104-106.

- أقلية مسيطرة فقدت قدرتها المبدعة و أصبحت تحكم بالقهر بعد أن كانت تمثل النخبة التي توجه الأكثرية غير المبدعة، ليحدث تمردا للبوليتاريا الداخلية عن تلك الأقلية فتنشق عنها، و يقصد توينبي بالبوليتاريا هنا بعامة الشعب في المجتمع.
- بوليتاريا داخلية ذليلة و لكنها عنيدة تتحين الفرصة للثورة بعد تمردها ردا على سيطرة النخبة و قصور الطاقة الإبداعية فيها.
- بوليتاريا خارجية انشقت عن المجتمع و تقاوم الاندماج فيه مما ينتج عنه فقدان التماسك الاجتماعي، و هذا العامل ناتج عن العاملين السابقين.[1]

انحلال الحضارة : يرى توينبي أن انحلال الحضارة ما هو إلا صورة مستمرة لتلك السلسلة من الانهيارات التي لم يعقبها ردود و استجابات لتلك التحديات و العوامل التي أدت إلى انهيار الحضارة إلى أن يتأزم الأمر هنا و تدخل الحضارة في مرحلة الانحلال نتيجة عدت عوامل نذكر منها:

العامل الأول: حينما تتبع الأقلية المبدعة أو الصفوة الحاكمة أنظمة جديدة غير أنظمته.

العامل الثاني: حينما يفتتن أفراد المجتمع بنظام ما إلى حد القداسة و التمجيد فتضيع قيمهم فيدخلون في حالة جمود و العجز في التجديد.

العامل الثالث: وهو عامل الحرب،إذ أن تحلل الحضارة النهائي هو إعداد الشعب لجيش قوي لمواجهة البرابرة الذين يهددون حدوده، ويصبح الشعب ذا نزعة عسكرية ما يجعله في ديمومة حربية قد تؤول به إلى الزوال[2].

[1] نيقين جمعه علم الدين: **فلسفة التاريخ عند ارلوند توينبي** ، ص110.

[2] زياد عبد الكريم النجم: **توينبي و نظرية التحدي و الاستجابة**،ص107.

نتائج:

-هناك اختلافات في الرؤى حول مفهوم الحضارة و قد يرجع هذا إلى الخلفيات الفكرية.

- الحضارة عند ابن خلدون في خلاف البادية و مظاهرها،ففي الحضارة يكون الناس برأي ابن خلدون قد بلغوا حالة زائدة على الضروري من أحوال معاشهم تمكنهم من التفنن في الترف.

- يرى ابن خلدون انه هناك مجموعة من العوامل تساعد في قيام الحضارة، منها العامل الطبيعي و الجغرافي بالإضافة إلى الثروة و سياسة ينتظم بها العمران.

- سقوط الحضارة حسب ابن خلدون راجع إلى تلاشي تلك العصبية البدائية و الانغماس في الملذات و الترف.

- الحضارة عند مالك بن نبي هي أنها حاصل العامل المادي منجهة والعامل الروحي من جهة أخرى.

- يلخص بن نبي عناصر الحضارة في المعادلة: الحضارة = الإنسان + تراب + الوقت، مع وجود العنصر الديني الذي يمزج بين العناصر الثلاثة.

- الحضارة عند شبنجلر نجد أنه قد قدم تصورا لها مشابها لما هو عليه الكائن الحي، فهو يعتبر أن المراحل التي يمر بها الكائن العضوي من مولد ونمو وموت هي نفسها المراحل تم ربها الحضارة، فللحضارة طفولتها وشبابها ونضجها وشيخوختها.

- الحضارة من منظور شبنغلر عبارة عن روح زاخرة بالإمكانيات تأتي إلى الوجود في بيئة خارجية بينما سقوطها يأتي من عوامل داخلية بالدرجة الأولى.

- الحضارة عند توينبي هي الوحدة الأساسية للدراسة التاريخية.

–يرى توينبي أن المجتمعات البدائية تخضع لمجموعة من التحديات الصعبة والتي يقابلها في ذلك مجموعة من الردود أو استجابات فتكون هذه التحديات بمثابة حافز للانتقال من الحالة البدائية إلى الحالة الحضارية.

الفصل الثاني: الرؤية المستقبلية للعلاقة بين الحضارات

من مبدأ الصدام و الحوار إلى مبدأ التعارف:

-مدخل

-المبحث الأول: هنتغتون و صدام الحضارات

-المبحث الثاني: حوار الحضارات الفكرة والمشروع

-المبحث الثالث: تعارف الحضارات كبديل

-نتائج

مدخل:

مع انتهاء الحرب الباردة دأب عدد من المفكرين على البحث واستشراف صورة العالم، والتحديات التي قد تواجه البشرية في المستقبل، وفي هذا الإطار انبثقت أطروحة صدام الحضارات، فذاع صيتها لأسباب عديدة أبرزها وقوف الخطاب الإعلامي الغربي معها وإسهامه بالترويج لها، فضلاً عن عدّ الحضارة محوراً للسياسة العالمية، بعد أن كانت الدولة هي المحور، لذلك يبدو أن مفهوم صدام الحضارات للوهلة الأولى يسعى لتوضيح الأسس التي تتحدد من خلالها العلاقات بين الدول في وسط جو من التنافس بين مراكز الحضارة التي تسود عالمنا الكبير، لما لها من أثر واضح في السياسة الدولية بل حتى السياسة الداخلية لعدد من الدول ، إلا أن هناك من المفكرين من و قف منددا لهذه السياسة باعتبارها أنها تصورات تشاؤمية ذات خلفيات عدائية و صراعية، فاقترحوا بديلا عن هذا التصادم بمقابل رؤية جديدة أسموها بحوار الحضارات،فلم يقف التصور لمستقبل الحضارات عند هذا التصور، بل برز تصور أخر منددا و ناقدا للتصور الأول أي الصدام و مقرا بعجز التصور الثاني أي الحوار مقدما بديلا عن كلاهما، يعرف بتعارف الحضارات و أمام هذه المقولات والأطروحات المتضاربة تدفعنا إلى طرح التساؤل: **ما الصورة التي ينبغي أن تكون عليها العلاقات الحضارية؟**

المبحث الأول: هينتغتون و صدام الحضارات

أولا: مفهوم صدام الحضارات

1/المعنى اللغوي للصدام:

لقد ورد في معجم اللغة الحديث عن معنى الصدام بما يأتي: صدم الشيء صدماً: صكهُ ودفعه ويقال صدم الرجل غيره وصدمة الشر بالشر وصدمهُ بالقول: أسكته، (صادمه): مصادمة وصداماً: دافعهُ (اصطدما): صدم كل منهما الآخر (تصادماً): اصطدما: ويقال: تصادمت الآراء: تضاربت (الصدمة): الدفعة يقال: صرعهُ بصدمة[1].

ورد في منجد اللغة العربية: صدم صدما : دفع بعنف و شدة، دخل في شيء و حطمه:صدام ،تصادم، ارتطام شيء بآخر ، خلاف ، نزاع ،مشادة، مشاحنة[2]

2/ المعنى الإجرائي للصدام: الصدام يعني حالة التأثير الحاصل بين شيئين متجانسين أو غير متجانسين في مادة التكوين (الطبيعة) أو الفاعلية (السبب) أو الغائية (الغرض)،لدى التقائهما في زمان ومكان معينين، إذا أعاق أحدهما انتشار الآخر أو منعه أو دعاه إلى التراجع[3].

3/مفهوم صدام الحضارات: ومن أشكال الصدام "صدام الحضارات" فقد اشتهر استعمال عبارة صدام الحضارات في نهايات القرن العشرين بالرغم من ظهورها في بدايته، فصدام الحضارات يعني الصراع بين الدول و الجماعات، دائما ما يتولد نتيجة للرغبة في السيطرة على الشيء ما كان سن أو الأرض أو الثورة أو القوة النسبية أو التنافس على

---

[1] مصطفى إبراهيم، وآخرون، **المعجم الوسيط**، ص 511 .

[2] انطوان نعمة و آخرون :**المنجد في اللغة العربية المعاصرة**، ط2، دمشق،2005،ص825

[3] محمد ياسر شرف، **إعادة تنظيم العالم– دراسة تحليلية نقدية لأطروحة صامويل هنتغتون في صدام الحضارات**، وزارة الثقافة ،دمشق،2004،ص375.

فرض الرأي و ثقافة خاصة بدولة أو شخص ما على جماعة ما أو دولة أخرى باللين أو بالقوى[1]، فمفهوم صدام الحضارات ليس جديدا ولا هو ابتكار صمويل هنتغتون،وإنما يعود إلى بدايات القرن الماضي فقد تناول مجموعة من المفكرين ، على أمثال المفكر البريطاني برنارد لويس*إلا أن مفهوم الصدام الحضارات كان أكثر تجليا مع صامويل هينتغتون.

ثانيا: عرض فكرة صدام الحضارات عند صامويل هنتغتون:

لقد أشار هنتغتون في مقدمة كتابه (صدام الحضارات) إلى أنه في صيف 1993 نشرت مقالا له بعنوان "صدام الحضارات "في صحيفة الشؤون الخارجية(Affairs Foreign)، و قد أثار هذا المقال نقاشا حادا وردود فعل متباينة بين مندهشين ومعجبين وهائجين وخائفين وحائرين من الطرح الذي وضعه من أن البعد المركزي للسياسات العالمية البارزة ستكون صراعا بين جماعات تنتمي إلى حضارات مختلفة، هذا ما أدى به إلى أن يطور المقال إلى كتاب حتى يتسنى له تغطية كثيرا من الموضوعات التي لم يتم مناقشتها أو التطرق إليها إلا بشكل يسير فيا لمقالة.و قد صرح بأن النية من هذا الكتاب ليست عملا من العلوم الاجتماعية، إنه بدلا من ذلك يعني تفسيرا لتطور السياسة العالمية بعد الحرب الباردة، إنه من المأمول أن يقدم إطارا تفسيريا أو نظرية في النظرة السياسية العالمية تكون ذات معنى بالنسبة للباحثين ومفيدة لصانعي السياسة.[2]

* برنارد لويس : ولد في 31 ماي 1916 بلندن، مؤرخ و أستاذ فخري بريطاني أمريكي و اشهر مؤلفاته "ازمة الاسلام"

[1] صحراوي نادية،طاهري زهرة: **الخلفية الدينية لنظرية تعارف الحضارات عند زكي الميلاد**،مذكرة نهاية التخرج لرتبة أستاذة تعليم ثانوي ،إشراف ا.قويدري لخظر،قسم الفلسفة،المدرسة العليا للأساتذة،الاغواط،دفعة جوان 2016،ص15

[2] صامويل هنتغتون: **صدام الحضارات و إعادة بناء النظام العالمي**،ت: مالك عبيد ابوشهيوة، ومحمود محمد خلف، ط 1،الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع، ليبيا، ، 1999 .ص-ص63،64

1/ منطلقات صدام الحضارات عند صامويل هنتغتون:

إن الافتراض الرئيسي في خطاب صدام الحضارات هو:"أن الثقافة أو الهوية الثقافية والتي هي في أوسع معانيها الهوية الحضارية التي تشكل نماذج التماسك، والصراع في عالم ما بعد الحرب الباردة "[1] ، ويضيف:" في عالم ما بعد الحرب الباردة، فإن أكثر الاختلافات أهمية بين الشعوب ليست إيديولوجية ولا سياسية أو اقتصادية، إنما ثقافية أو تراثية ".

إن مجموعة الدول الأكثر أهمية لم تعد مكونة من ثلاث معسكرات كما في الحرب الباردة، و لكن من سبع أو ثمان حضارات رئيسية... إن الصراع بين القوى العظمى قد حل محله صدام الحضارات.

حيث يؤكد أن في هذا العالم الجديد، ان أكثر الصراعات انتشارا وخطورة لن تكون بين طبقات اجتماعية، غنية و فقيرة أو جماعات أخرى محددة على أسس اقتصادية،و لكن بين شعوب تنتمي إلى هويات ثقافية مختلفة، الحروب القبائلية والصراعات العرقية سوف تقوم داخل حضارات[2].

في عالم ما بعد الحرب الباردة، تحدد الدول بشكل متزايد مصالحها في شكل حضاري أو أشكال حضارية، فهي تتعاون وتوحد نفسها مع الدول التي تشاطرها ثقافة متشابهة أو مشتركة وهي في أغلب الأحيان تدخل في صراع أكثر مع الدول التي تختلف عنها في الثقافة، والدول تحدد التهديدات في شكل نوايا الدول الأخرى، و تلك النوايا والكيفية التي تدركها بها تتشكل بشكل قوي باعتبارات ثقافية[3].

[1] صامويل هنتغتون: **صدام الحضارات و إعادة بناء النظام العالمي**،ص71.
[2] المرجع نفسه، ص-ص 73-75.
[3] المرجع نفسه، ص90.

و فيما يلي سنقف عند أهم النقاط التي أثارها هنتغتون والمتمثلة في:

ا/ طبيعة الحضارة :

لقد أجاب هنتغتون عن السؤال: ماذا نعني عندما نتحدث عن حضارة ؟ بأن الحضارة هي أرفع تجمع ثقافي للبشر وهي أشمل مستوى للهوية الثقافية لا يفوقه من حيث تهديده للهوية الثقافية إلا الذي يميز الإنسان عن غيره من الأنواع الأخرى، ويمكن تحديدها أو تعريفها بكل من العناصر الموضوعية مثل اللغة والتاريخ و الدين والعادات والمؤسسات وبالتمايز الذاتي للبشر،و لدى البشر عدة مستويات للهوية فمواطن روما ربما يعرف نفسه بدرجات متباينة الشدة كروماني و إيطالي و كاثوليكي و غربي، والحضارة التي ينتمي إليها هي المستوى الأشمل للتمايز والذي يعرف به بشدة.[1]

ب/تقسيم الحضارات:

تنقسم الحضارات المعاصرة عند هنتغتون إلى سبع أو ثمان حضارات وهي:الحضارة الصينية، الحضارة اليابانية، الحضارة الهندوكية أو الهندوسية، الحضارة الإسلامية، الحضارة الأرثوذكسية، الحضارة الغربية، الحضارة الأمريكية اللاتينية والحضارة الإفريقية (محتملة)[2].

ج/ رفض الحضارة الواحدة العالمية:

إن انبثاق مصطلح "حضارة عالمية " أو"حضارة كونية "يتضمن عموما الالتقاء الثقافي للبشرية والقبول المتزايد للقيم والعقائد والاتجاهات والممارسات والمؤسسات المشتركة للشعوب في جميع أنحاء العالم[3].

[1] صامويل هنتغتون : **الإسلام و الغرب آفاق الصدام** ، ترجمة : مجدي شرشر،ط1، مكتبة مدبولي، القاهرة،1995،ص-ص8-9.
[2] صامويل هنتغتون: **صدام الحضارات و إعادة بناء النظام العالمي**،ص-ص109-114.
[3] المرجع نفسه، ص127.

لكن هنتغتون يرفض فكرة الحضارة الغربية العالمية،حيث أكد أن استعمال الأدوات الغربية من لباس "ارتداء الجينز "وشراب "الكوكاكولا "وموسيقى" الراب" لا يعني بأي حال من الأحوال اندماج الحضارات الأخرى في الحضارة الغربية، الغرور الساذج فقط يمكن أن يقودا لغربيين إلى الاعتقاد بأن غير الغربيين سيصيرون "متمدنين على النمط الغربي "باكتساب السلع الغربية، ويتساءل:ما الذي حقا يعني قوله للعالم عن الغرب عندما يعرف الغربيون أنفسهم وحضارتهم بالسوائل الغازية والبنطلونات ذات الموضة و الأطعمة الدسمة؟[1].

د/ خصائص الحضارة الغربية:

لذلك انصرف هنتغتون إلى تحديد جملة من الخصائص التي تشكل ملامح الحضارة الغربية و بها تفوقت على غيرها و تمثلت في: الميراث الكلاسيكي و المتمثل في الفلسفة اليونانية والعقلانية، والقانون الروماني واللاتينية والمسيحية والكاثوليكية والبروتستانتية(المسيحية الغربية)، واللغات الأوروبية بصورها المتباينة والفصل بين الكنيسة وسلطة الدولة وسيادة القانون والتعددية الاجتماعية والهيئات العامة النيابية والترعة الفردية.[2]

هـ/ الخوف من انبعاث الحضارات:

توجد صورتان عن قوة الغرب بالنظر إلى العلاقة مع الحضارات الأخرى:

الصورة الأولى: الهيمنة المتفوقة والمنتصرة والشاملة غالبا للغرب، لأن بتفكك الاتحاد السوفيت يزال التحدي الخطير الوحيد للغرب وكنتيجة فالعالم هو هو وسيظل يتشكل بأهداف وأولويات و مصالح الدول الغربية.

[1] صامويل هنتغتون: **صدام الحضارات و إعادة بناء النظام العالمي** ص131.

[2] المرجع نفسه ،ص-ص149-152.

الصورة الثانية: إنها حضارة في حالة اضمحلال نصيبها من القوة العالمية السياسية و الاقتصادية و العسكرية آخذ في الهبوط بالقياس إلى قوة الحضارات الأخرى، فالانتصار في الحرب الباردة لم ينتج فوزا بل إن الغرب بدا مهتما بشكل متزايد بمشاكله واحتياجاته الداخلية، فيما هو يواجه نموا اقتصاديا بطيئا وركودا في عدد سكانه، البطالة، تفاقمات هائلة في العجز الحكومي، اضمحلال أخلاقيات العمل،معدلات ادخار بطيئة،وفي عدد من الدول بما في ذلك الولايات المتحدة، التفكك الاجتماعي،المخدرات، الجريمة، القوة الاقتصادية آخذة بشكل سريع في التغير إلى شرق آسيا، كما أن القوة العسكرية والنفوذ السياسي بدأ يتبعان نفس الاتجاه، و العالم الإسلامي صار بشكل متزايد عدوانيا نحو الغرب، وكذلك الحال بالنسبة لثقة الغرب في نفسه و إرادته في الهيمنة، إن أكبر و أهم زيادة في القوة ستكون للحضارات الآسيوية مع بزوغ الصين التدريجي كمجتمع هو الذي يتحدى على الأرجح الغرب من أجل النفوذ العالمي، للمجتمعات غير الغربية ورفضهم المتزايد للثقافة الغربية.[1]

هذه التحولات في القوة بين الحضارات تؤدي الآن وسوف تؤدي إلى إحياء و تأكيد الذات الثقافي المتزايد ويضيف قائلا: " فبينما كان نهوض شرق آسيا قد غذته معدلات النمو الاقتصادي المذهلة، فإن الانبعاث الإسلامي قد غذته بشكل متساو معدلات نمو سكاني مذهلة "[2]

كما أرجع هنتغتون الأسباب التي تجعل العلاقة بين الحضارتين الإسلامية والصينية تتوسع وتتعمق وتستمر وتتحدى الحضارة الغربية و تعارضها حول منع انتشار الأسلحة النووية وحقوق الإنسان وقضايا أخرى.و لذلك يلح هنتغتون على أن يتخذ الغرب جميع التدابير على المستوى القريب كما على المستوى البعيد للدفاع عن مركزه و مصالحه،

[1] صامويل هنتغتون: **صدام الحضارات و إعادة بناء النظام العالمي**،ص-ص168-170

[2] المرجع نفسه،ص227

وأنهى هنتغتون كتابه بأن مستقبل كل من السلام و الحضارة يعتمد على الفهم والتعاون بين القيادات السياسية و الروحية والفكرية للحضارات الكبرى للعالم[1].

2/ أبرز الأفكار الأساسية لأطروحة صدام الحضارات عند هنتنغتون

أ–يذكر هنتنغتون ان المصدر الجوهري للتصادم في عالم ما بعد الحرب الباردة سيكون العامل الثقافي، وهذه الصدامات الرئيسة للسياسات الكونية ستحدث بين الدول والمجموعات المنتمية لحضارات مختلفة، إذ سيهيمن صدام الحضارات على السياسات الكونية، ومن المتوقع أن تنشب الصدامات واندلاع امل العنف أيضا بين الدول والجماعات في ضمن الحضارة الواحدة، ومثل هذه الصدامات تكون اقلحدة واقل فرصة للانتشار من الصدامات التي تنشب في الحضارات المختلفة، فالانتماء المشترك لحضارة واحدة يقلل من أرجحيه اندلاع العنف في الحالات التي تحدث فيها بين المنتمين لحضارات مختلفة.[2]

ب–وانه سيكون الصدام بين الحضارات احدث مرحلة في تطور النزاعات في العالم الحديث، وهذه النزاعات كانت في المقام الأول نزاعا تداخل إطار الحضارة الغربية إذ كانت حروباً بين الدول الغربية ومع انتهاء الحرب الباردة انتقلت السياسات العالمية من طورها الغربي ليصبح محورها الأساس التفاعل بين حضارة الغرب والحضارات الأخرى[3].

ج–ويذكر هنتنغتون انه ليس منطقياً أن نصنف بلدان العالم بعد انتهاء الحرب الباردة على أساس أنظمتها السياسية والاقتصادية، وإنما على أساس ثقافتها إذ تشترك الدول الغربية بملامح ثقافية تميزها عن المجتمعات الإسلامية أو الصينية،

[1] صامويل هنتغتون: **صدام الحضارات و إعادة بناء النظام العالمي** ،ص533.

[2] صامويل هنتغتون، **مقالة صدام الحضارات**، ترجمة نجوى أبو غزالة، مجلة شؤون سياسية، بغداد، العدد الأول، 1994 ، ص 116

[3] المرجع نفسه ،ص116

د- الحضارات عند هنتنغتون سبع حضارات، والثامنة محتملة ،وهذه الحضارات هي الحضارة الغربية، و أن المسلمين و الصينيين والغربيين ليسوا جزءا من كيان ثقافي واسع، لأن كلاً منهما يشكل حضارة بذاتها[1].

و- وكذلك يبين هنتنغتون أن من بين كل المقومات الموضوعية (الدم،اللغة،الديانة) التي تحدد الحضارة فإن أكثرها أهمية عادة الدين، ويرجع هذه الأهمية لما أكده الأثينيون، وأن الحضارات الكبرى في التاريخ البشري كانتقاد ارتبطت في تحديدها بالديانات العالمية العظمى، فالحضارة هي كيان ثقافي في أوسع معانيه[2] والحضارة هي أعلى تجمع ثقافي للبشر وأوسع مستوى من الهوية الثقافية[3].

هـ- ويذكر هنتنغتون أن في نظام الحضارات العالمي الجديد، تحل الدول الأساسية للحضارات الكبرى محل القوتين العظميين في الحرب الباردة بوصفها أقطاباً رئيسة للجذب والنفور للدول الأخرى (الدولة تميل إلى إتباع الدول ذات نفس الثقافة وتتوازن ضد الدول التي تفتقر معها إلى التجانس الثقافي)، إن العالم سيكون نظامه مؤسساً على أساس الحضارات، الدول الأساسية للحضارات هي مصدر النظام داخل الحضارات ومن خلال التفاوض مع دول أساسية أخرى بين الحضارات، والتجانس الثقافي يضفي الشرعية على القيادة وعلى الوظيفة المتمثلة في إعطاء الأوامر م الدول الأساسية إلى كل الدول الأعضاء والقوى و المؤسسات الخارجية[4].الحضارات عند هنتنغتون سبع حضارات، والثامنة محتملة وهذه الحضارات هي الحضارة الصينية، والحضارة اليابانية، والحضارة

[1] صامويل هنتغتون، **مقالة صدام الحضارات** ، ص117.

[2] صامويل هنتغتون: **صدام الحضارات و إعادة بناء النظام العالمي**،ص105.

[3] المرجع نفسه،ص106.

[4] المرجع نفسه ،ص-ص289-291.

الإسلامية، والحضارة الهندوسية، والحضارة السلافية الأرثوذكسية، والحضارة الأمريكية اللاتينية، وربما الحضارة الإفريقية[1].

3/أسباب الصدام بين هذه الحضارات

يبين هنتنغتون أسبابا عدة للصدام بين الحضارات وهذه الأسباب هي:

1- أن الاختلافات بين الحضارات أساسية واختلافات الحضارات أكثر جوهرية من السياسية، وهذه الاختلافات لا تعني بالضرورة الصدام، والصدام لا يعني بالضرورة العنف.

2- تعمق الوعي الحضاري والإحساس بالاختلاف بين الحضارات المصاحب للعداء بينها بسبب الزيادة في التفاعلات بين الشعوب التي تنتمي إلى حضارات مختلفة.

3- أن عمليات التحديث الاقتصادي والتغير الاجتماعي تفصل الناس عن الهويات المحلية وكذلك تضعف الدولة القومية بوصفها مصدراً للهوية الذاتية، ويتحرك الدين لسد هذه الثغرة في الهوية وإحياء الدين يقدم أساسا للهوية.

4- يتعزز نمو الدور الحضاري بفعل الدور المزدوج للغرب من ناحية أن الغرب في قمة قوته، وربما نتيجة لذلك يتبنى غير المنتمين إلى الحضارة الغربية ظاهرة العودة إلى الجذور الثقافية لهم.

5- تعزز الإقليمية الاقتصادية نتيجة الوعي الحضاري من ناحية،وقد تنجح الإقليمية الاقتصادية فقط عندما تتجذر في حضارة مشتركة.

[1] صموئيل هنتغتون، **مقالة صدام الحضارات**،ص117.

6- أن جهود الغرب الساعية إلى ترويج قيم الديمقراطية والليبرالية بوصفهما مبادئ شاملة والاحتفاظ بهيمنته العسكرية وتوسيع مصالحة الاقتصادية تؤدي إلى استجابات مضادة من قبل حضارات أخرى[1].

7-أما مستويات صدام الحضارات فإنه كما يصفها هنتنغتون تحدث على مستويين: المستوى الأضيق إذ تتصادم المجموعات المتجاورة والفاصلة بين الحضارات، وعلى المستوى الأوسع تتنافس دول مختلفة الحضارات للسيطرة على المؤسسات الدولية.

8- خطوط الصدع بين الحضارات تحل محل الحدود الأيديولوجية للحرب الباردة.

9- في السنوات القادمة ستشهد الصراعات المحلية الأكثر ارجحية تصعيداً، لتتحول إلى حروب رئيسة تكون كتلك التي تشهدها البوسنة والقوقاز على طول خطوط الصدع بين الحضارات وعلى هذا فإن الحرب العالمية الثالثة إذا نشبت تكون حرباً بين الحضارات.

10- أن اندلاع حرب عسكرية بين الدول الغربية أمر بعيد الاحتمال.

11- في المستقبل بعد أن يميز الناس أنفسهم بحضاراتهم تتعرض البلدان المشتملة على أعداد هائلة من الناس الذين ينتمون إلى حضارات مختلفة على شاكلة الاتحاد السوفيتي ويوغسلافيا فإنها ستتعرض إلى التمزق ومن أمثلة الدول الممزقة تركيا والمكسيك وروسيا، و أن أكثرها تمزقا روسيا حسب رؤية هنتنغتون.

12- ولادة العلاقة الصينية الإسلامية التي برزت لتتحدى مصالح الغرب وقوته، وتستهدف ترويج الأسلحة والتكنولوجيا التي تصنعها للوقوف بوجه القدرة الغربية[2].

[1] صموئيل هنتغتون، **مقالة صدام الحضارات**،ص-ص117-119.

[2] المرجع نفسه، ص-ص119-127.

13- أن الغرب الآن وسيبقى لسنوات قادمة الحضارة الأكثر قوة، غير أن قوته النسبية في مواجهة الحضارات الأخرى آخذة في الهبوط وفي الوقت الذي يحاول فيه الغرب أن يؤكد قيمه ويدافع عن مصالحة، فإن المجتمعات غير الغربية تعيش نمواً، فبعضهم يحاول أن يماري الغرب وينحاز إليه على حين أن المجتمعات الصينية والإسلامية تحاول أن توسع قوتها الاقتصادية والعسكرية وتعمل على توازن ضد الغرب[1].

14- توجد صورتان عن قوة الغرب حسب رؤية هنتنغتون الصورة الأولى: الهيمنة المتفوقة والمنتصرة والشاملة غالباً للغرب، أما الصورة الثانية: فهي حضارة في حال اضمحلال نصيبها من القوة العالمية السياسية والاقتصادية والعسكرية آخذة في الهبوط بالقياس إلى قوة الحضارات الأخرى[2].

15-أن تعبير حضارة عالمية ممكن استعماله ليشير إلى ما تشترك فيه المجتمعات المتحضرة مثل المدن والتعليم الذي يميزهم عن المجتمعات البدائية والبربرية، إن تعبير حضارة عالمية ربما يشير إلى الافتراضات والقيم والمذاهب التي تتمسك بها حالياً مجموعة من الشعوب في الحضارة الغربية وبعض الشعوب من الحضارات الأخرى[3]، ثم إن فكرة حضارة عالمية أو كونية هي نتاج متميز للحضارة الغربية، وإن العالمية الكونية أو الكونية "Universalism" هي أيديولوجية الغرب في مواجهة الثقافات غير الغربية، وفكرة حضارة عالمية لا تجد إلا تأييدا بسيطاً في الحضارات الأخرى[4]،ومن ثم فإن حضارة عالمية تتطلب قوة عالمية[5].

[1] صامويل هنتغتون: **صدام الحضارات و إعادة بناء النظام العالمي**،ص80.
[2] المرجع نفسه، ص-ص167-168.
[3] المرجع نفسه،ص168.
[4] المرجع نفسه،ص143.
[5] المرجع نفسه،ص184.

16- التحديث والتغريب يذكر هنتنغتون انه بسبب توسع الغرب فإنه سوف تختلف الاستجابة وردة الفعل من قبل الزعماء السياسيين والمفكرين المنتمين إلى حضارات غير الغربية لما يتعلق بالتحديث والتمدن على النمط الغربي، وانه سوف تتمثل ردة فعل هؤلاء الزعماء والمفكرين بثلاثة طرق: أما رفض كلا من التحديث والتغريب أو قبولهما معا أو قبول الأول ورفض الثاني، فإن الموقف الأول متمثل بموقف اليابان مع الغرب منذ عام 1542 – 1854 السنة التي انتهى فيها هذا الموقف بالقوة بعد أن احتلت اليابان من قبل الغرب،أما الموقف الثاني المتضمن قبول التحديث والتغريب فيتمثل بموقف تركيا الذي قاده مصطفى كمال أتاتورك(1881 – 1939)،والموقف الثالث هو الموقف التوفيقي، ومحاولة الجمع بين التحديث والحفاظ على القيم والممارسات والمؤسسات الأساسية لثقافة المجتمع ويعطي هنتنغتون مثالاً على ذلك الصين ومصر في ثلاثينيات القرن التاسع عشر[1].

[1] صامويل هنتغتون: **صدام الحضارات و إعادة بناء النظام العالمي**،ص-ص154-155

المبحث الثاني: حوار الحضارات الفكرة و المشروع

أولا: مفهوم الحوار

1/الحوار في اللغة:

وردفي" تاج العروس"، عن معنى الحوار ما يلي: يقال كلمته فأرجع إلى حوارا، وحوارا و محاورة وحويرا و محورة، أي جوابا، والاسم من المحاورة الحوير، تقول سمعت حويرهما وحوارهما، وفي حديث سطيح" فلم يجر جوابا "أي لم يرجع ولم يرد، وما جئتن يعنه محورة، بضم الحاء، أي ما رجع إلي عنه خبر،وإنه لضعيف الحوار أي المحاورة[1] ،والمحاورة هي المجاوبة ومراجعة النطق والكلام في المخاطبة وقد حاوره، وتحاوروا: تراجعوا الكلام بينهم، وهم يتراوحون ويتحاورون، ويفهم من هذا أن الحوار يعني الإجابة والرد لأن كل طرف يتحاور يهتم بالرد على أسئلة الطرف الآخر[2].

2/اصطلاحا: لقد رأى طه عبد الرحمن في كتابه من أجل المستقبل،أن الحوار:هو طريق الوصول إلى الحق، وللحوار طرق شتى لا حد لها لأن الحق هو نفسه، وبذلك فإن الحوار تشترك فيه أطراف متعددة ومختلفة سواء كانوا أفراد أو فئات،حيث أن أحد الأطراف قد ينسحب عن رأيه عند ضعف أدلته أي أن الحوار يسلم بالرأي الآخر، فالحوار يتم بواسطة فك الخلاف بين الناس، فإذا كان الخلاف هو الداء المفرق فالحوار هو الدواء الشافي[3].

فالحوار إذن يسهم في توسيع العقل وتعميق مداركه من خلال انفتاح الفكر الغير بهدف التحاور و ذلك يقتضي الاعتراف بالأخر.

---

[1] محمد مرتضي الحسيني الزبيدي: **تاج العروس**، تحقيق عبد الكريم الغرباوي، ج 11، اللجنة الفنية بوزارة الإعلام، ، الكويت، 1972 ،ص107.

[2] المرجع نفسه،ص108.

[3] طه عبد الرحمان: **حوارات من أجل المستقبل**، ط 1، دار الهدى للطباعة والنشر، بيروت، 2003، ص 05.

3/**مفهوم حوار الحضارات:** من خلا لما سبق يمكن القول أن الحوار في سياقه الحضاري يفضي إلى التعاون بين الكائنات وعليه فالإنسان من منظور حضاري وأنثر وبولوجي هو كائن حواري، ومن ثم فإن حوار الحضارات يعبر رؤية إسلامية التحاور،فحوار الحضارات يفترض وجود كيانات قادرة على رسم مصيرها والمضي قدما بمسارها

التاريخي بمحض إرادتها ،متحررة من كل الضغوطات والتأثيرات الخارجية ولن يأتي ذلك إلا بترسيخ مبدأ الاعتراف الأخر، وطالما أن مفهوم حوار الحضارات حديث الاستعمال في العلاقات الدولية فإن مسألة الاعتراف تتجاوز حدود الاعتراف بالتنظيم السياسي والسلطة السياسية القائمة، ليشمل الآخر أو الهو الحضاري بكل تجلياته ومظاهره السياسية، الاقتصادية، الثقافية والدينية....إلخ.[1]

يحث يقوم مفهوم حوار الحضارات على فرضية أساسية مؤداها أن المميزات الثقافية للشعوب،والأمم تؤثر في العلاقات بين الدول، وإن تكريس التعاون الدولي يشترط توظيف تلك المميزات بحكم الصلة الوثيقة بين السلوكيات السياسية والاقتصادية من جهة والسلوكيات الثقافية من جهة أخرى، فقد كان الدافع من وراء الدعوة إلى حوار الحضارات إرساء معالم ثقافة إنسانية منبثقة من منظومة قيمية مشتركة بين مختلف الشعوب والأمم بغية خلق نظام عالمي جديد أكثر إنسانية ومنظور فكري جديد يقوم على أخلقة العلاقات الدولية[2]،حيث تسود العدالة والمساواة وحقوق الإنسان والديمقراطية جمعاء، وليس وفق صورة الغرب النرجسية من خلا فرضه نشر ديمقراطية على المقاس، أي الديمقراطية الأمريكية، وبالتالي ضرورة الإقرار بالتعددية الثقافية وتنوعها، وعليه فإن أطروحة حوار الحضارات هي دعوة إلى تجنب الصراع الحضاري بين الأمم والشعوب والصدام الثقافي

[1] جندلي عبد الناصر: **العلاقات الحضارية في عالم ما بعد الحرب الباردة**، صراع أم حوار، ضمن كتابه التثاقف في زمن العولمة، إشراف عبد المجيد مرانيا، سرار للطباعة والنشر، باتنة، الجزائر، 2011 ،ص62

[2] جندلي عبد الناصر: **العلاقات الحضارية في عالم ما بعد الحرب الباردة** ، ص63

بينها خاصة بين الإسلام والغرب، والدعوة إلى بناء ثقة بين الحضارات بغية التفاعل بينها.

ثانيا: عرض نظرية الحوار عند روجيه غارودي

تعد مقولة حوار الحضارات مقولة أساسية في مشروع غارودي، بحيث يمكن القول بأن غارودي قد عرف أكثر من عرف بهذه الفكرة و هي الفكرة أو المشروع الذي كرس له معظم نشاطاته وجهوده الفكرية والتي تظهر بوضوح في بعض مؤلفاته، مثل" في سبيل حوار الحضارات "خاصة وكذا كتاب" نداء إلى الأحياء "و" مشروع الأمل "و" نحو حرب دينية "وغيرها بالإضافة إلى إنشاء بعض المراكز التي تنشط في هذا المجال كالمعهد الدولي لحوار الحضارات بجنيف، ومركز الدراسات بقرطبة، حيث يعرف غارودي حوار الحضارات بقوله:" هو إخصاب متبادل بين حكمة، وكذلك ثورات آسيا و إفريقيا والإسلام وأمريكا اللاتينية وبينما يماثلها في الغرب"[1]، وعلى ضوء هذا التعريف فإن غارودي يحدد أطراف الحوار بوضوح فيحصرها في حكمة وثورات آسيا والإسلام وإفريقيا وأمريكا اللاتينية من جهة، وهي ما يسميه بالثقافات اللاغربية، وما يقابلها في الغرب من حكم وثورات وهو ما يدعوه بالثقافة الغربية من جهة أخرى، فالحوار الذي يدعو إليه غارودي يشمل الثقافات المتواجدة عبر جميع قارات العالم، أي أنه حوار شامل ليس فيه إقصاء ولا هيمنة لنموذج ثقافي على آخر[2]، وبالتالي التلاقح والاغناء والإثراء الذي يفضي إلى مركب جديد إلى مشروع حضارة جديدة تكون عبارة عن حضارة سيمفونية تتناغم فيها عدة ثقافات، ولهذا فإن غارودي قد حاول أن يدفع الغرب ويوجهه إلى هذا المشروع الذي تشارك فيه في نهضة جميع الأمم بمختلف حضاراتها و ثقافاتها المتنوعة لبناء مستقبل الجميع الذي

[1] نقلا عن الشريف طوطاو: فلسفة حوار الحضارات عند روجي غارودي ضمن **كتاب فلسفة التاريخ جدل البداية والنهاية**، اشراف و تحرير على الحمداوي ، ط1، ابن النادم لنشر و التوزيع، وهران، 2012،ص 616.

[2] الشريف طوطاو: **فلسفة حوار الحضارات عند روجي غارودي** ، ص619.

سماه بمشروع الأمل،والذي يقول عنه" إن من شأن ابتكار مستقبل حقيقي أن يقتضي العثور مجددا على جميع أبعاد الإنسان التي نمت في الحضارات والثقافات اللاغربية وبهذا الحوار بين الحضارات بمفرده يمكن أن يولد مشروعا كونيا يتسق مع اختراع المستقبل، وذلك ابتغاء أن يخترع الجميع مستقبل الجميع"[1]، وعليه فإن الغرب مطالب بالاستفادة من التجارب الحضارية الأخرى والتعلم بهدف تحقيق تكامل الحضارات مستقبل أو الخروج من دائرة الصراع الذي عاشته الإنسانية منتقدا في ذلك النظرة الأحادية للغرب، ومحاولة فرضه لحضارة مهيمنة خاصة بعد انتهاء الحرب الباردة و انهيار المعسكر الشرقي والاتحاد السوفياتي، مما خلق صراعا جديدا بين الغرب والباقي خاصة الإسلام، مدعيا الغرب فيه أن الخطر سيكون من الخطر الأخضر أي الإسلام بعد زوال الخطر الأحمر أي الشيوعية فالغرب يملك حضارة لكنها ليست عالمية[2]، لأنها قائمة على الإنسانية والكبرياء و تعتقد أنها الإمبراطورية الكبرى التي لا تغيب عنها الشمس، بينما يدعو غارودي ويعتبر أن حوار الحضارات هو حقل مشروع الأمل الذي يمكن إضافته إلى المشاريع الفكرية النهضوية الفعلية في تاريخ حضارتهم، و يؤكد غارودي قائلا في ندائه لمشروع الأمل:" أيقال أن هذا تغيير عميق لأسلوب حياتنا؟ بلا أدنى شك لأنه اتهام جذري للفردانية والأنانية اللتين هما منذ خمسة قرون، مبدأ مجتمعاتنا الغربية، ولكن البرهان هو بقاء الكرة الأرضية، وبقاء كل واحد منا،إن الثورة الوحيدة التي لابد منها اليوم، لكي تستمر المغامرة الإنسانية، استمرارا واحد، هي بهذه الثمن أننا لن نغير العالم من غير أن نغير أنفسنا في الوقت نفسنه وبالحركة نفسها،"[3]وبهذا فإن بناء حضارة عالمية قائمة على التكامل والحوار والتفاعل بين الحضارات يستلزم تحولا كبيرا في عقلية الغرب وجدا كبيرا في تواضعه الفكري حسب غارودي.

---

[1] روجي غارودي: **حوار الحضارات**،ترجمة عادل العوا ، ط 4،عويدات للنشر، بيروت، لبنان، ،1994 ص 10.

[2] عبد الغني بو السكك: الحضارات من الحوار إلى التحالف، ضمن كتاب جماعي، **التثاقف في زمن العولمة**، ، ص 13.

[3] روجي غارودي: **مشروع الأمل**، ط1، دار الأدب، بيروت،،1977،ص141.

ولكي يكون الحوار فعالا في صياغة مشروع المستقبل و لتغيير انحرافات القرن العشرين التي قادت البشرية نحو الدمار وتصحيح مسار القرن الواحد والعشرين، وبالتالي إنقاذ الكوكب من الانتحار ينبغي أن يكون للحوار مقومات وشروط وأركان تنتقل من خلالها الحضارة الإنسانية إلى حوار مثمرا تتقوى فيه جسور التفاهم بين ثقافات الأمم والشعوب المختلفة،يمكن أن نذكر بعضا منها:

أن يكون الحوار متبادلا وليس من طرف واحد على شاكلة العولمة التي يراد هيمنة نموذج ثقافي واحد على جميع الثقافات بما يؤدي إلى القضاء على الخصوصيات والهويات الثقافية بغية سيادة نمط ثقافي واحد هو النمط الغربي، باعتباره النموذج الأرقى وعليه فمشروع العولمة مشروع لا إنساني في جوهره كونه ينطلق من فكرة الاستعلاء[1]و النظرة الدونية للآخر، وبالتالي فإن الحوار الذي يدعو إليه غارودي ينطلق من فرضيات مخالفة، فحسبه لا يوجد هناك أقوى وأضعف شكل حضارة لها جوانب قوة وجوانب ضعف، وكل منها لديه ما تقدمه إلى الآخر، ولديها ما تتعلمه منه،إذن فالحوار يعني الانفتاح على الآخر لأجل اكتشافه وإحداث التكامل معه وتعويض النقص، وبموجب ذلك لا ينبغي أن تكون هناك عدائية وصارع بقدر ما يوجد حب واحترام للآخر باعتباره شريكا في المشروع الحضاري الإنساني[2]، وعليه فالاعتراف المتبادل والتواصل بين الحضارات شرط ضروري لابد منه في سبيل تكريس هذا الحوار مستشهدا بالتاريخ الإنساني عبر الأزمنة المختلفة، حيث يقول غارودي:" لقد حدثت في التاريخ لقاءات مختلفة بين الحضارات وسيتيح لنا تأملها أن نعرف تعريفا أفضل شروط إمكان لقاء جديد، و وسائل تيسير هو الإغناء الإنساني المرتقب منه"[3]، وبالتالي فإن غارودي يدعو إلى حوار حقيقي

[1] الشريف طاوطاو: **الإنسان في فلسفة رجاء غارودي**، أطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه ، إشراف د. موسى امعيرش ،كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية، قسم الفلسفة ،جامعة منتوري، قسنطينة،2010/2009 ،ص 411.

[2] الشريف طاوطاو: **الإنسان في فلسفة رجاء غارودي** ، ص 412.

[3] روجي غارودي: **حوار الحضارات**، ص 180.

رغم صعوبة الأمر معتبرا أن الحضارات يمكن أن تتلاقى وتتلاقح، ويمكن لها أن تتعايش وأن تتفاعل، ذلك أنه لا توجد حضارة قد نشأت بمعزل عن غيرها من الحضارات، وهذا ما يثبته بقوله:" لا توجد حضارة في جزيرة، وإن الحضارة منذ أولى خطواتها تتألف من شبكة انتشار كلي"[1]، انطلاقا من هذا يذكر غارودي بأن الحضارة الإسلامية قد أخذت عن غيرها وعرفت كيف تنفتح على الحضارات والثقافات الأخرى، وكذلك الحضارة الغربية التي بدأت في الحقيقة في الأندلس أي في اسبانيا خلال القرن الثالث عشر[2].

كما أن الحوار يجب أن يكون مبنيا على التسامح والتواضع وتقبل رأي الآخر، وهذا لا يمكن أن يتحقق إلا إذا صغى كل طرف إلى الآخر[3]، فالحوار إذن يشترط التواضع والإنصات إلى الآخر واحترامه، يقول غارودي:" إن حوار الحضارات يتطلب أن ننصت للآخر كما نتحدث إليه بالضبط"[4]، فالإنصات فضيلة يجب علينا فهمها والتحلي بها.

كما أن الحوار بين الحضارات يجب أن يشتمل حوار الثقافات التي يعول عليها غارودي ويعلق عليها آمالا كبيرة في تغيير العالم وإعادة تنظيم العلاقات بين الأمم والشعوب المختلفة، وعن طريق هذا الحوار يمكن أن يحدث تكامل ثقافي بين الغرب والإسلام، وهذا يقتضي من الغرب أن يتناول ثقافته بالنقد في أخذ من ثقافة الآخرين بدل نفيها"[5].

وعليه لابد من حوار ثقافي لأن كل الثقافات تنمو تزدهر بالحوار، وكذلك الحوار الفني الذي يفسح المجال للعثور على الإسهامات الفنية لكل حضارة، ويعمل على توفير الوعي للناس بتاريخهم المشترك ضد مطالبات القوميات الإقليمية مطامعها، بغية بناء

[1] روجي غارودي: **حوار الحضارات** ، ص.156.

[2] روجي غارودي: **وعود الإسلام**، ترجمة ذوقان قرقوط، ط2، دار الشرقي، بيروت،1985 ص 19.

[3] رامي كلاوي: **روجي غارودي من الإلحاء إلى الإيمان**، ، لقاءات و محاضرات، ط1،دار قنيبة للنشر،1990 ،ص 2.

[4] الشريف طاوطاو: **الإنسان في فلسفة رجاءغارودي**، ص 41.

[5] روجي غارودي: **مشروع الأمل**،ص 106.

شعب واحد هو شعب الأرض بأكملها[1]، إضافة إلى الحوار الاجتماعي خاصة وأن الغرب قد أفسد كل علاقاته الاجتماعية بدءا بالأسرة التي تعد نواة المجتمع الأولى، لتتراجع معها كل القيم ، ولذلك يجب أن يتعلم الغرب من حواره مع العالم الإسلامي ذاك البعد الإنساني القائم على التسامي والأمة[2] الذين فقدهما، كما يدعو غارودي كذلك إلى ضرورة الحوار الاقتصادي الذي يخلق من دوافع متبادلة، ويقدم خدمات أساسية ذات نفع اجتماعي غير مشكوك فيه من جهة، والقضاء على كل أشكال الاستغلال[3]والبؤس الاجتماعي، فالوضع الاقتصادي للنموذج الحضاري الغربي القائم على استهلاك أي شيء كان نافع أو ضار دون مبالاة للأغراض الإنسانية لا يمكن تجاوزه إلا من خلال قامة حوار مع الإسلام،على اعتبار النظام الاقتصادي الإسلامي هو النظام الأمثل الذي يمكن أن يتعلمه الغرب من العالم الإسلامي، لكونه يرمي إلى التوازن[4] . فهو يرى أن الإسلام جاء بنظام متوازن لا يقيم فروقا بين الإنسانية، بل يوحدها وهو نموذج على الغرب أن يقتدي به.

إن دعوة غارودي لحوار الحضارات تتضمن جملة من الأهداف والغايات التي ينبغي تحقيقها كونها تعود بالنفع على العالم بأسره،على غرار القضاء على الحروب، وتحرير الشعوب من بطش الطغاة[5]،ونشر السلام وتحقيق المساواة بين البشر، فبالحوار وحده يمكن إنقاذ البشرية من شبح الهلاك والدمار، وكذا إلغاء الثقافة الأحادية التفكير التي تجعل من أوروبا مركز الحياة العالم[6]، والتي كانت دائما متعصبة فيحكمها على الحضارة الإسلامية والحضارات الأخرى، معتبرا أن مسارها الذي تسلكه هو المسار الأنجح وعلى الآخرين إتباعه، وهذا الإدعاء الخاطئ والمظل لأدى به إلى الإنقاص من

---

[1] روجي غارودي: **وعود الإسلام**، ص 17.

[2] المرجع نفسه، ص 31.

[3] روجي غارودي: **مشروع الأمل**، ص 78.

[4] المرجع نفسه، ص72

[5] روجي غارودي: **الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية**، ترجمة محمد هشام، ط 1،دار الشروق، القاهرة، 1998،ص19

[6] روجي غارودي: **وعود الإسلام**، ص 108.

شأن علوم وثقافة المسلمين خاصة، على الرغم من فضل الحضارة الإسلامية التي نقلت إلى أوروبا عبر اسبانيا وصقلية ثقافة تكفلت بأعبائها طيلة ألف عام أي أن تقبل الغرب للحوار معا لآخر اللاغربي سيجعله يعيد النظر في حكمه على ثقافته أولا وثقافة الآخر ثانيا.

وباعتبار أن الحوار هو نقيض التعصب فمن خلاله فقط يمكن الخلاص من التعصب السلفي والتطرف والقضاء على كل أشكال الأصوليات التي لا تخلق إلا التصادم بين المجتمعات فعالمنا لا يحتاج إلى قيصر جديد ولا نابليون آخر، ولكنه يحتاج إلى تلبية الملايين من الرجال والنساء لهذا النداء[1]، وبالتالي فبالحوار فقط يمكن تجاوز كل أشكال الصدام الناتج عن التعصبات السلفية.

ثم إن الدعوة إلى حوار الحضارات هي دعوة إلى استشراف المستقبل والاهتمام به بقدر الاهتمام بالماضي، حيث يؤكد غارودي هذا بقوله:" لا يقتصر وعي حوار الحضارات وخصبه في عصرنا على فائدته التاريخية وحسب ،بل إنه ينهض بدور أمامي لأجل اختراع المستقبل"[2] والمستقبل الذي يقصده غارودي هنا هو مستقبل الإنسانية المشتركة الذي يتحقق بالحوار، وذلك يقضي من كل طرف من أطراف الحوار إعادة النظر في غايات هو أهدافه، وعلى هذا النحو يكون المستقبل إبداع حقيقي من خلاله يمكن تجاوز النظرة القائمة على البعد الواحد[3].

ثالثا: مبررات التوجه لحوار الحضارات:

قام غارودي بالتعاون مع مسؤول منظمة اليونسكو بتأسيس المعهد الدولي لحوار الحضارات عام 1976 بهدف إبراز البلاد غير الغربية و إسهامها في الثقافة العالمية،

[1] روجي غارودي: **أصول الأصوليات والتعصبات السلفية**، مكتبة الشروق، القاهرة، 1996 ، ص 10.
[2] روجي غارودي: **حوار الحضارات**، ص 115.
[3] المرجع نفسه ، ص163.

حتى يتوقف الحوار ذو البعد الواحد من جانب الغرب[1]،الذي يقوم على وهم عقدة التفوق عند الإنسان الغربي. كما قام بنشر عدة كتب في هذا المجال تبرهن أن الحضارة الغربية التي تمجد الفردية وتبمن الإنسان أبعاده الإنسانية، وتفصله عن السمو الروحي، وتغتال الفكرة الجماعية وتضع حاجزا بين العلم والتقنية من ناحية، وبين الحكمة من ناحية أخرى حيث يقول غارودي:" إن المجتمع الذي خلق الإنسان الغربي ذا البعد الواحد، ذاك الذي ينتظر من نمو العالم والتقني انتموا لانهائيا أن يروي غلة إرادته في السيطرة والربح"[2]وبهذا فالحضارة الغربية التي استنفذت أغراضها ولم تعدلها ضرورة تتبع ثلاث موضوعات رئيسية في توجهها:

1- موضوع رجح أن الفعل والعمل باعتبار ذلك قيمة أساسية.

2- موضوع رجح أن جانب العقل، ومن الجائز أن نضيفها على النحو الآتي :إن العقل قادر على حل جميع المشكلات و لا توجد مشكلات حقيقية إلا تلك التي يستطيع العلم أن يحلها وفي هذا التصور الوحيد البعدين حل الفكرة إلى الذكاء وحده، ولا يجد فيه الحب، ولا الإيمان ولا الشعر مجالا.

3- أما الموضوع الثالث فه وموضوع رجح أن اللانهائي السيئ أي اللانهائي الكمي وحسب و باسم هذه الموضوعات أمكننا الاعتقاد بإمكان اللانهائي لا في النمو باعتباره نموا كميا صرف في الإنتاج والاستهلاك[3].

وعليه فإن مشروع حوار الحضارات فيتصور غارودي يمثل بديلا للنموذج الحضاري الغربي المؤهل للانتحار، ولإنقاذ هو تصحيح مساره، وجب علينا الاهتمام بالحضارات اللاغربية في مجال الدراسات، وجعلها بمنزلة تعادل في أهميتها الثقافة الغربية، وكذا

[1] روجي غارودي: **لماذا أسلمت؟ نصف القرن من البحث عن الحقيقية**، ط1، دراسة محمد عثمان الخشت، مكتبة القرآن للنشر، القاهرة 1999. ص 5.

[2] روجي غارودي: **حوار الحضارات**، ص 34.

[3] روجي غارودي: **لماذا أسلمت؟نصف القرن من البحث عن الحقيقية**، ص 59

الاهتمام بمبحث الجمال وضرورة أن يشغل منزلة يعادل في أهميته تعليم العلوم والتقنيات بالإضافة إلى جعل الاهتمام بالمستقبل يعادل في أهميته من حيث الأهداف والغايات أهمية التاريخ وعلم التاريخ[1].

فالغرب كما يرى غارودي قد اختار منذ عصر النهضة نموذجا خاطئا في التنمية ألا وهو نموذج النمو لأجل النمو، وهو نموذج يفتقر إلى أية غاية إنسانية سواء على مستوى الثقافة أو الاقتصاد أو السياسة أو التنقية، أو العلم، ولهذا كان من الطبيعي أن يصل إلى هذه الأزمة التي نشاهدها اليوم، وإن استمراره في هذا النهج قد يفاقم هذه الأزمة وبالتالي الانهيار. ولهذا فالغرب بحاجة إلى قيام بثورة شاملة على النموذج الحضاري الذي اختاره، تتغير بموجبها علاقة الإنسان بالله وبالطبيعة ،كما تشمل هذه الثورة الاقتصاد والسياسة والعلم والتقنية والفلسفة والدين والفن والجمال، وسوف يكون الهدف من هذه الثورة قيام نموذج حضاري عالمي،ولتحقيق هذا المشروع لابد من إقامة حوار بين الحضارات[2]، يتيح للغرب التعلم من الحضارات الأخرى ما ينقصه،أي استعادة الأبعاد الإنسانية المفقودة، فيتعلم من ثقافات أمريكا وإفريقيا وآسيا ومن الإسلام، حتى وان كانت متخلفة ماديا إلا أنها يمكن أن تساهم مساهمة فعالة في بناء الإنسان والحضارة على نحو إنساني بما تقدمه من رؤى عالمية، وعليه فالتوجه إلى حوار الحضارات يعني إنقاذ الحضارة، وإنقاذ الإنسانية من الهلاك الذي بات وشيكا، ويوضح غارودي مقصده من هذا الكلام قائلا :" ليس بمحال إطلاقا حدوث مبادلة تتيح حوار بين الحضارات، ولكن الحوار يفترض أن يكون كل طرف مقتنع بأن ثمة شيئا يتعلمه من الطرف الآخر، لقد استمر حديث الغرب عن ذاته زمنا كافيا، وقد حاول توجيه جميع الحضارات بحسب منظوره الخاص ...إن حوار الحضارات حقيقيا ليس بجائز إلا إذا اعتبرت الإنسان الآخر والثقافة

[1] روجي غارودي: **حوار الحضارات**،ص159.

[2] الشريف طاوطاو: **الإنسان في فلسفة رجاء غارودي**، ص 416

الأخرى جزءا من ذاتي يعمر كياني ويكشف لي عما يعوزني"[1] ، وبالتالي فإن غارودي يعتبر حوار الحضارات مشروع ضروري لابد أن تشارك فيه كافة شعوب المعمورة على اختلاف ثقافاتها وأجناسها وألوانها ،لأن ثمرته تعود على الإنسانية كافة.

[1] روجي غارودي: **لماذا أسلمت؟نصف القرن من البحث عن الحقيقية**، ص60.

المبحث الثالث :تعارف الحضارات كبديل

أولا: ظهور نظرية تعارف الحضارات:

كان أول ظهور لفكرة تعارف الحضارات في صيف 1997 بحيث يقول الميلاد :" أنجزت أول عمل حول تعارف الحضارات على صورة بحث، نشر في محلة الكلمة العدد السادس عشر شرحت فيه قيمة وتميز هذا المفهوم "[1]

وكانت هذه أول محاولة في نحت واستعمال هذه التسمية التي دخلت المجال التداولي العربي منذ ذلك الوقت[2] ، وفي العام 1999م أصدرت كتابا بعنوان المسالة الحضارية، وكيف نبتكر مستقبلا في عالم متغير) ضمته بحث تعارف الحضارات"[3] وفي سنة 2002 م شاركت في الندوة الدولية التي نظمها مكتبة الملك عبد العزيز العامة حول الإسلام وحوار الحضارات وقدمت لهم بحث بعنوان من حوار الحضارات إلى تعارف الحضارات وفي بداية عام2003 ، طلب الأستاذ حسين آل حمادة أن نجري حوار نخصصه بأكمله لأطروحة تعارف الحضارات وأجرينا هذا الحوار ونشر في محلة الحج والعمرة السعودية في أيار مايو 2003. ،ولقي هذا الحوار اهتماما ومتابعة [4]وفي سنة 2006 م أصدرت كتابا يحمل التسمية نفسها (تعارف الحضارات) جمعت فيه المقالات والكتابات التي تناولت هذه الفكرة واتخذت من التعارف الحضارات عنوان له"[5].

---

[1] زكي الميلاد:**نحن والعالم من اجل التجديد لرؤيتنا للعالم**،ط1، سلسلة الكتاب 136،مؤسسة اليمامة الصحفية، الرياض،2005 ،ص94.95

[2] المصدر نفسه،ص96

[3] المصدر نفسه،ص15

[4] المصدر نفسه،ص18

[5] المصدر نفسه،ص96

وفي يناير 2008م عقدت ندوة في العاصمة السورية دمشق بعنوان (تعارف الحضارات فيظل الأسرة الإنسانية الواحدة) نظمها معهد جمعية الفتح الإسلامي في دمشق بالتعاون مع جامعة هاتفورد سيمزي الأمريكية "[1] .

والتطور الجديد واللافت جدا أن هذه الفكرة بدأت تدرس في المقرر الدراسي لكتاب التاريخ الصف 11 في دولة الإمارات المتحدة وهو المقر الجديد والمطور السنة الدراسية 1431/1430،2009/2010م، و أشار إلى أربع نظريات في التفاعل الحضاري وهي نظرية صراع الحضارات من وجهة صامويل هنتغتون ،وحوار الحضارات من وجهة نظر روجية غارودي ونظرية نهاية التاريخ من وجهة نظر فرانسيس فوكوياما ،ونظرية تعارف الحضارات من وجهة زكي الميلاد ومازالت هذه الفكرة تشق طريقها وستظل في حالة تطور وتجدد مستدام[2].

فتعارف الحضارات نظرية أو رؤية جديدة لمستقبل الحضارات التي جاء بها زكي الميلاد تضاف إلى النظريات السابقة عليها وهي صدام الحضارات لصامويل هنتغتون بالإضافة إلى نظرية نهاية التاريخ لصاحبها فرانسيس فوكوياما و نظرية حوار الحضارات لصاحبها روجيه غارودي، لكن فالحقيقة أن نظرية أو مقولة تعارف الحضارات جاءت ناقدة لمقولتي الصدام و الحوار في العلاقات الحضرية لتكون مقولة التعارف البديل عنهما،فيقول زكي الميلاد في هذا الشأن:" المفهوم و المصطلح الذي أحاول نحته و التأسيس المعرفي له في هذا السياق هو مفهوم "تعارف الحضارات" و الذي أختاره و أفضله على مصطلحي "صدام الحضارات" و "حوار الحضارات"[3]

[1] زكي الميلاد: **نحن والعالم من اجل التجديد لرؤيتنا للعالم**،ص97

[2] المصدر نفسه،ص 98

[3] زكي الميلاد: **المسألة الحضارية كيف نبتكر مستقبلنا في عالم متغير؟**،ط2،مركز الحضارة لتنمية الفكر الاسلامي ،بيروت ،2008،ص68

ثانيا: نقد زكي الميلاد لمقولتي الصدام و الحوار

1/نقد زكي الميلاد لمقولة الصدام:

اعتبر زكي الميلاد نظرية صدام الحضارات من أنشط الأفكار تداولا في النطاق العالمي الواسع، مع العلم أنها مقولة ليست جديدة، لكن الجديد فيها هو بنيتها الفكرية الجديدة التي صاغها هنتغتون وحساسية الوقت الذي جاءت فيه بالإضافة إلى نوعية المصدر والجهة التي عبرت عن هذه الفكرة.

و في الحقيقة أن مقولة صدام الحضارات كوصف للواقع الموضوعي القائم في عالم اليوم قد تكون صحيحة نسبيا،و هذا لا يعني بالتأكيد الاتفاق مع هذه المقولة أو التبرير لها، و إنما ما نشاهده اليوم في العالم من نزاعات وحروب وانقسامات عرقية وثقافية ودينية يكشف في وجه منه عن صدام بين حضارات، وهذا الصدام ليس الواقع الطبيعي أو المفترض في العلاقات بين المجموعات البشرية على اختلاف ثقافاتها وحضاراتها.

لكن الاختلاف الأشد مع هنتغتون هو التبشير لهذه المقولة كسيناريو للمستقبل أو كما يقول هنتغتون نحن مع نهاية القرن العشرين على أبواب مواجهة بين الحضارات، هذا الكلام على بساطته هو الأكثر خطورة على العالم، كون النظرة الإسلامية لا تتفق مع أي دعوة للنزاع أو الصراع أو الصدام بين الأمم والشعوب والحضارات[1].

و عليه، في هذا المنحى النقدي لنظرية صدام الحضارات سجل زكي الميلاد جملة من الملاحظات على مستوى المنهج نوردها كما يلي:

[1] زكي الميلاد:**الاسلام و المدنية حوارات حول الفكر الاسلامي وقضاياه و مشاكله ومشكلاته**،ط1،دار العربية للعلوم،ناشرون،بيروت،2007،ص-ص42-43.

ا/ يبدو أن هنتغتون كان محكوما بفرضية الصدام بين الحضارات، و هي الفرضية التي وظف لها ما عنده من خبرة معرفية ومنهجية متصلة بمجال تخصصه الأكاديمي والمهني لكي يبرهن على صدقية هذه الفرضية، ولعل مبعث هذه الفرضية انهم في الغرب بصورة عامة يقرؤون التاريخ الإنساني ويفسرونه من زاوية الصراع و النزاع والصدام على مستوى الطبقات أو الأجناس أو الثقافات أو الدول أو الحضارات، كما أن طبيعة العلاقات التي حكمت الغرب في تاريخه الحديث والمعاصر مع الأمم والشعوب و الحضارات الأخرى غير الغربية ساهمت في تكريس مثل هذه الفرضية، فقد تعامل الغرب مع الحضارات الأخرى بمنطق الاستعمار و الامبريالية، وبذهنية التدمير و السيطرة ،ولهذا يمكن القول إن ما قدمه هنتغتون هو عبارة عن قراءة سياسية للحضارات وبمنهجيات و أدوات في النظر والتحليل تنتسب إلى العلوم السياسية ونظرية الصراع هي واحدة من النظريات الرئيسية في هذه العلوم. .

كما لا يمكن النظر للعلاقات بين الحضارات لا في الماضي، و لا حتى في المستقبل من خلال فرضية واحدة، و بالذات نظرية الصدام بين الحضارات، و الذي نعرفه ويوثقه التاريخ الإنساني أن العلاقات بين الأديان في دولة المسلمين بالأندلس كانت على درجة عالية من التسامح والتعايش بين المسلمين والمسيحيين و اليهود، بحيث حينما خرج المسلمون من الأندلس بعد سقوط دولتهم هناك سنة 1492 م، خرج معهم اليهود إلى تركيا خوفا على أنفسهم من الذين حكموا الأندلس بعد ذلك إلى جانب أمثلة أخرى[1].

ب/لم يعطي هنتغتون أي مجال للنظر والتفكير في فرضية الحوار بين الحضارات، وتركز الطرح عنده بصورة أساسية على فرضية الصدام بين الحضارات، لكنه أشار في خاتمة المقالة و بشكل عابر إلى الدعوة للتعايش، وحسب قوله: وبالنسبة إلى المستقبل لن تكون هناك حضارة عالمية، بل عالم يضم حضارات مختلفة يجب أن يتعلم كل منها التعايش

[1] زكي الميلاد: **المسألة الحضارية كيف نبتكر مستقبلنا في عالم متغير؟**،ص-ص62-63

مع غيره ". لكن الذي لم يتحدث عنه هنتغتون هو كيف تتعلم هذه الحضارات التعايش، هل على قاعدة الصدام أم على قاعدة الحوار والتفاهم ؟ كما أنه لم يشرح كيف تنتقل هذه الحضارات من حالة الصدام إلى حالة التعايش و الحوار.

ج/ مع كل ما أخذه الغرب من معارف وعلوم من الثقافة الإسلامية والحضارة الإسلامية، وما اكتشفه من قدرة حضارية خلاقة في الإسلام، و ما عرفه عن الدور الكبير الذي لعبه في نهضة العقل والعلم والآداب، ومشاركته في بناء الحضارة الإنسانية، و مع ما يمكن أن يقدمه هذا الدين لمستقبل الإنسان، والارتقاء بالحضارة البشرية، مع كل هذا و غيره، لا يريد الغرب أن يصحح علاقته بالإسلام، و هذا أمر محير حقا، ولهذا فإن هنتغتون بنظريته صدام الحضارات يساهم في دفع الغرب نحو الاصطدام مستقبلا بالإسلام[1] .

د/ إن المكون الحقيقي لنظرية هنتغتون هو أنه ينطلق من خلفية الحفاظ على مصالح الغرب،و ضبط هيمنته على العالم،و استمرارية تفوقه و فرادته على بقية الحضارات، و لا شك أن هذه خلفيات شديدة التحيز إلى الغرب، و لا تساهم إلا في تكريسا لانقسامات في العالم، و ترسيخ الفروقات بين الحضارات، وهنتغتون ولهذه الخلفيات إنما يغلب السياسة على الثقافة والحضارة يجعل من السياسة الحقل الذي يشكل له الدوافع و التصورات، ويحدد منهجيات النظر والتحليل التي يتعامل بها مع الثقافة و الحضارة، و لهذا يمكن القول أن نظرية هنتغتون هي نظرية سياسية في الأساس حتى و لو كان مجالها هو الثقافة والحضارة[2].

لهذا فإن صدام الحضارات نظرية تفسيرية أو هكذا أراد أن يصورها هنتغتون لكي يدافع عنها و يقنع بها، ويقطع على الآخرين شكوكهم وهواجسهم واحتجاجاتهم، فقد أراد هنتغتون– كما يدعي – أن يقدم نظرية كلية يربط من خلالها ويفسر بواسطتها الأحداث

[1] زكي الميلاد: **المسألة الحضارية كيف نبتكر مستقبلنا في عالم متغير؟**، ص64

[2] المرجع نفسه ،ص65

والوقائع والنزاعات والصدامات و الحروب المشتعلة والمتفجرة منذ زمن طويل، و ترجع لأسباب وخلفيات دينية و عقائدية و ثقافية.

لكن المشكلة في هذه النظرية أنها لم تقف عند حدود الأبعاد التفسيرية كما أراد أن يصور ذلك هنتغتون، وإنما تجاوزت ذلك إلى أبعاد إنشائية و تحريضية، حيث كانت تبدو دائما و كأنها تحذر الغرب من احتمال صدام مع بقية الحضارات غير الأوروبية، و تحرضه بالتالي على ضرورة أن يحافظ على تفوقه ويكون في مستوى مواجهة مثل هذا الاحتمال، لكي لا يفقد حضارته أو تفوقه على مستوى العالم و هذه الخلفيات هي التي أثارت حفيظة العالم و مخاوف المجموعات البشرية وحرضت على سجال هو الأوسع من نوعه في تاريخ العالم المعاصر[1].

هنا يكمن الفرق بينه وبين "المهدي المنجرة " فهذا الأخير يعتبر الدراسات المستقبلية إيجابية و وقائية لأنه حين كتب كتابه عن الحرب الحضارية الأولى قال للنخب السياسية والفكرية في العالم: " إنه في حالة عدم احترام القيم الإنسانية والثقافية، فإن الحروب القادمة ستكون حروب قيم و ثقافة، و الآن فإن لغة الرئيس الأمريكي بوش كلها، بقطع النظر عن ميزانية الدفاع الأمريكية البالغة 340 مليار دولار هي دفاع عن قيم يهودية مسيحية معينة "، فكلامه كان إيجابيا في الحديث عن المستقبل أما هنتغتون فقال لأصحاب القرار: خذوا حذركم إن الخطر سيأتي من العالم غير اليهودي المسيحي "[2]

هناك بعد آخر تحدث عنه هنتغتون بعناية ويتعلق هذا البعد بفكرة اضمحلال الغرب مقارنة بصعود وتقدم بعض الحضارات الأخرى، و بالذات الآسيوية منها، و هي في نظره

[1] زكي الميلاد: **الاسلام و المدنية حوارات حول الفكر الاسلامي وقضاياه و مشاكله ومشكلاته**،ص-ص116-117.

[2] المهدي المنجرة : " الإهانة في عصر الميغا إمبريالية " ، العولمة و حوار الحضارات و الثقافات،**مجلة عالم التربية** ، العدد17: 2007 ، منشورات عالم التربية،الجديدة،ص72.

فكرة جادة[1]، لهذا يدعوا هنتغتون الغرب لأن يقاوم صعود و تقدم الحضارات الأخرى، و هنا يكمن وجه الخطورة في نظرية صدام الحضارات حسب زكي الميلاد[2].

والمعادلة السليمة في تقدير الميلاد هي أن الدعوة إلى تعدد الحضارات ينبغي أن ترافقها دعوة للحوار والتعارف بين الحضارات لا إلى صدامها و صراعها.

2/ نقد زكي الميلاد لنظرية حوار الحضارات عند غارودي :

لقد اعتبر الميلاد أن ما قدمه غارودي أنضج طرح اتصف بالانفتاح على الحضارات، حيث وجه غارودي نقدا قاسيا لسلوك الغرب في تاريخ علاقته بالأمم والحضارات غير الغربية، و يدعو الغرب لأن يعيد النظر إلى ذاته، و إلى الآخر الحضاري من خارج محيطه الغربي، والانفتاح عليه، والتعلم منه[3].

كما تمثل دعوة غارودي للحوار بين الحضارات قراءة للمستقبل، فقد انشغل بمعالجة أزمة الحضارة الغربية وبتصحيح موقفها من الحضارات الأخرى، بعد إدراكه بأن نمط التطور الذي تمارسه الحضارة الغربية وخاصة في مجال التقدم التكنولوجي والصناعي إنما من شأنه القضاء عليها[4].

لهذا اعتقد الميلاد أن غارودي قد بلور دعوته لحوار الحضارات، بعد تحليله لأزمة الثقافة والحضارة الغربية، أراد من هذه الدعوة أن تكون خطابا نقديا للغرب، متوجها منه وإليه قاصدا به ضرورة أن يلتفت الغرب لبعض مشكلاته و إشكالياته الناشئة في منظومته

[1] زكي الميلاد: **نحن والعالم من اجل التجديد لرؤيتنا للعالم**،ص48.

[2] المصدر نفسه:ص50

[3] زكي الميلاد: **المسألة الحضارية**،ص91.

[4] مصطفى النشار : **ما بعد العولمة قراءة في مستقبل التفاعل الحضاري و موقعنا منه**،دار قباء الحديثة للطباعة و النشر والتوزيع،القاهرة، 2007،ص99

الفكرية والفلسفية والاجتماعية، وطريقته في التطور الحضاري، و في نمط رؤيته لعلاقاته بالعالم لإنقاذه وتصحيح مساراته.

وعليه فإن نظرية غارودي–حسب الميلاد– تنتمي وتصنف على النظريات الغربية، لكن هذا لا يعني ذلك بالضرورة نقدا لها أو رفضا أو إسقاطا، و إنما القصد هو تحديد طبيعة الفضاء المعرفي والمرجعي لهذه النظرية ، و فهم غاياتها ومقاصدها و كيفية التعامل معها، بالتالي لا يمكن الرجوع إلى هذه النظرية إلا في إطار التثاقف والتواصل الفكري و المعرفي، و ليس الاعتماد عليها بوصفها نظرية كونية عامة، أو باعتبارها قابلة للتعميم على المستوى الإنساني، مع أنها – كما سبق الذكر – قد تعد من أنضج النظريات في مجالها وأكثرها دعوة للانفتاح و التواصل مع الثقافات والحضارات الأخرى غير الأوروبية[1].

كما تعد مقولة حوار الحضارات مقولة اعتراضية ونقدية، و هي أصلح وأسبق من مقولة صدام الحضارات من حيث التداول العام ، لكن الوصول إليها وتحويلها إلى واقع وممارسة مازالت تقف دونه مسافات طويلة تمنع من أن يتقدم العالم خطوات كبيرة نحوها.

ولعل ما يدعو إلى التوقف عنده هو هل أن البيئة العالمية – بالمعنى الثقافي و الاجتماعي– وصلت إلى مرحلة من النضج بحيث تتقبل فيه فكرة حوار الحضارات؟ وهل الغرب يسمح لنفسه أن يدخل في حوار مع حضارات لا يوجد فيها التكافؤ معه، و هو المحكوم بعقلية التوازنات المادية ؟ و هل أن الحضارات الأخرى كالحضارة الإسلامية والهندية والسلفية والإفريقية ، وحضارات العالم الثالث أخذت تستعيد توازنها الطبيعي بما يؤهلها إلى حوار مع الحضارات الكبرى والمتقدمة في العالم بصورة متكافئة؟[2].

[1] زكي الميلاد: **المسألة الحضارية**،ص–ص71–72.

[2] المرجع نفسه، ص92.

يذهب أحد المفكرين إلى أن غارودي قدم في كتابه "حوار الحضارات" حقائق شديدة الوضوح تكشف كيف تعامل الغربيون مع شعوب العالم الأخرى من منطلق القوة وفرض الرأي، رغم ذلك لا يوافقه في طرحه من ضرورة "الحوار الحضاري "، فقد تصور غارودي أنه يمكن للغربيين اليوم إذا ما وعوا تلك الحقائق المرة من تاريخهم البعيد والقريب أن يتواضعوا وأن يعترفوا بأهمية الثقافات الأخرى، وبإمكانية الاستفادة من المنجزات الحضارية للشعوب الأخرى، و من ثم أن يقبلوا الحوار مع أبناء هذه الحضارات في عالم يستفيد فيه الجميع من الجميع ويتبادلون الخيرات المعنوية والمادية[1].

لهذا فإن التصور الذي قدمه غارودي مستحيل لأن الحوار لا يكون إلا بين أناس يؤمنون بالحوار ويقبلون الرأي الآخر بأريحية و بحب، كما أن الحوار لا يقوم إلا بين متكافئين[2].

و خير دليل أن الناظر إلى تاريخ الحضارة الغربية في عصر من عصورها يتأكد من أنها كانت دائما ولا زالت تنظر إلى أبناء الحضارات الأخرى نظرة استعلاء واحتقار، فمنذ الحضارة اليونانية ونظرة الإنسان الغربي لإنسان الشرق هي نفسها لم تتغير: إنه ذلك "البربري الذي لا يصلح إلا للرق والعبودية " و أنه " غير قادر على التحدي الحضاري "و أنه " لا يقدر على إنتاج الفكر الفلسفي أو الإبداع العلمي وأنه بشكل عام لا يصلح إلا أداة تسيرها إرادة الغرب لتحقيق مصالحه التي كانت ولا زالت – في نظر الغربيين – هي دائما المصلحة العليا للإنسانية فالإنسان الغربي هو الوحيد الذي يعرف أين المصلحة العليا للإنسانية،و هو الوحيد القادر على القيادة و الريادة و الإبداع[3].

[1] مصطفى النشار :**ضد العولمة**، ط2، دار قباء للطباعة و النشر و التوزيع،القاهرة،2001،ص76.

[2] المرجع نفسه،ص77

[3] مصطفى النشار : **ضد العولمة**،ص-ص213-214

أما البعض فقد اعتبر أن حوار الحضارات دعوة استجدائيه عاطفية لا دعوة موضوعية واقعية،بل هي انسياق وراء شعار لا يملك من أدوات التنفيذ بقدر ما يملك من أدوات الإلهاء ، ومن هنا يطرح السؤال التالي: ماذا ينفعنا في هذا العالم المسكون بالقوة والبغض والقسوة أن نرفع شعار الحوار في وقت لا يعيرنا الآخر حتى التفاتة ؟[1].

[1] المرجع نفسه،ص228.

نتائج:

– مفهوم الصدام ليس جديدا ولا هو من ابتكار هنتغتون بل استخدمه من قبل برنارد لويس والمهدي المنجرة.

– تتلخص مقولة هنتغتون في أن الصراع المستقبلي لعالم ما بعد الحرب الباردة سيكون ثقافيا وليس اقتصاديا أو إيديولوجيا ، وستشكل الحضارة الإسلامية أحد التحديات في وجه الغرب.

– ينطلق هنتغتون من خلفية الحفاظ على مصالح الغرب وضبط هيمنته على العالم واستمرارية تفوقه و فرادته على بقية الحضارات وهي خلفية تعكس مدى التحيز إلى الغرب.

– يعتبر حوار الحضارات ضرورة حتمية وليس ترفا فكريا، و واجب أخلاقي لتحقيق التعاون الايجابي المثمر والتعايش السلمي بين البشر، ورد فعل على الطرح القائل بالصدام بين الحضارات.

– يمثل حوار الحضارات عند غارودي محاولة لدفع الغرب لرؤية مختلفة للمستقبل وهي رؤية قائمة على أساس شراكة الغرب للأمم غير الغربية على قاعدة أن يخترع الجميع مستقبل الجميع وقد أسماه بمشروع الأمل.

– اعتبر الميلاد أطروحة الصدام تحريضية لأنها تحذر الغرب دوما من احتمال صدام مع بقية الحضارات غير الأوروبية، وتحرضه على ضرورة المحافظة على تفوقه.

– على الرغم من أن طرح غارودي وصف بأنه أنضج طرح اتصف بالانفتاح على الحضارات الأخرى، إلا أن البعض يعتبره مستحيلا كون الغرب لن يتواضع ولن يعير الآخر اهتماما. .

الفصل الثالث: تجليات نظرية تعارف الحضارات عند زكي الميلاد:

-مدخل

-المبحث الأول: مفهوم تعارف الحضارات ومقوماته

-المبحث الثاني:شمولية الرؤية في نظرية التعارف و أبعادها الإنسانية

-المبحث الثالث: تعارف الحضارات رؤية و واقع

-نتائج

مدخل:

شهد العالم مؤخرا جدالا واسعا حول مقولتي صراع الحضارات وحوارها ومع تصاعد وتيرة هذا الجدال، كان لابد للعالم الإسلامي أن يخطو خطوة أخرى من أجل تبديد الصورة السيئة التي كونها الغرب عنه، وانطلاقا من مسلمة قدرة الإسلام الدائمة على تقديم البدائل والحلول من خلال أحكامه ومبادئه وتجربته الحضارية للمشكلات الإنسانية الكبرى، ظهر المفكر العربي الإسلامي " زكي الميلاد " بمقولة جديدة ومغايرة تنبع من واقعنا العربي الإسلامي ومن ثقافتنا وحقائق هويتنا و هي مقولة " تعارف الحضارات"،**فهل يمكن أن نعتبر هذه المقولة على أنها نظرية مؤسسة مما يتيح لها امكانية التحقق على أرض الواقع ؟**

المبحث الأول: مفهوم تعارف الحضارات و مقوماته

أولا: تعريف مقولة تعارف الحضارات

1/ معنى التعارف في اللغة:

– **التعارف:** من المعرفة والعرفان وهما يفيدان إدراك الشيء يتفكر وتدبر لأثره والتعارف والعريف و العروفة ممن يعرف الأمور ولا ينكر أحداً رآه مرة التعارف مزيج من التعرف والتعريف[1].

– **تعارف تعارفا** : عرف القوم بعضهم بعضا[2].

–**تعارفا أو تعارفوا:** عرف أحدهما الآخر أو بعضهم بعضا تعارفوا على أمر " أصبح متفقا عليه".[3]

2/ التعارف اصطلاحا:

نظرية تعارف الحضارات نظرية و رؤية جديدة لمستقبل العلاقة بين الحضارات تنتمي إلى الفضاء المعرفي الإسلامي وتتحد في مجال العلاقات بين الحضارات.

كما يعتبر أول من نحت مصطلح تعارف الحضارات ودافع عنه هو المفكر السعودي "زكي الميلاد "ولم تكن الغاية من هذا المصطلح توسيع دائرة الجدل والمجال الواسع والمتراكم حول مقولة صدام الحضارات. وحوار الحضارات ... وإنما هي محاولة لتطوير مستويات الفهم في النظر إلى عالم الحضارات والسعي لاكتشاف آفاق جديدة أو غائبة تساهم في تحديد العلاقات بين الحضارات .. والتأكيد على ضرورة بناء هذه

[1] محمد مراح:**نحو رؤية اسلامية لتعارف الحضارات: ضمن كتاب تعارف الحضارات رؤية جديدة لمستقبل العلاقة بين الحضارات**،،اعداد زكي الميلاد، صلاح الدين الجوهري، دار الكتاب المصري ، القاهرة،2014،ص91.

[2] جبران خليل:الرائد **المعجم لغوي عصري**،ط4، دار العلم لملايين،لبنان،1984،ص410.

[3] انطوان نعمة: **الحجر في اللغة العربية المعاصرة**، ط2، دمشق،2005،ص976

العلاقات على أساس المعرفة المتبادلة ومن خلال بناء جسور التعارف لإزالة كافة صور الجهل و التخلص من رواسب و إشكاليات القطيعة[1]، فالتعارف بهذا المنظور هو الطريق الذي من شانه أن يربط الصلة بين الحضارات و إزالة كل ما يعيق التواصل فيما بينها.

والحكمة من هذه الفكرة في نظر " الميلاد" إنها تنطلق من قاعدة أن تعدد الحضارات وانبعاث حضارات جديدة لا يفترض أن يؤدي إلى صدام بين الحضارات ولا ينبغي أن يفهم هذا التعدد أو يفسر على أساس الصدام وأنه بدون تعارف لا يتحقق الحوار ولا يتطور ولا يتقدم [2]. في فكرة التعارف لا تنفي هذا التنوع و التعدد الثقافي و الأيديولوجي بل هي اعتراف و إقرار به، لكن ما يجمع هذا التنوع هو تلك الرابطة المتمثل في الأصل الإنساني الواحد ولن تتجسد هذه الرابطة إلا في ظل تعارف الإنسانية فيما بينها.

و قد حلل زكي الميلاد مصطلح التعارف لتبين مدلوله و قيمته الحضارية ويرى الميلاد أنه لو تأملنا في هذا الاصطلاح بطريقة معرفية فإنه بالإمكان أن نكتشف قيمته الدلالية التي منها:

– إن مفهوم تعارف الحضارات هو أوسع وأشمل وأعمق من مفهوم حوار الحضارات، وهو ينطلق من أرضية تكوين المعرفة والتأسيس عليها، فالتعارف هو الذي يحدد شكل العلاقات وحدودها ومستوياتها وأفاق تطورها.

– الخروج من الإشكالية الثنائية التي كرست الطابع الجدلي الاحتجاجي بين مقولة حوار الحضارات وصدام الحضارات، الإشكالية التي تعيق عمليات الفهم وتوريث السجال"[3]

[1] زكي الميلاد :**تعارف الحضارات**،دار الفكر ، دمشق،2006،ص5.

[2] المصدر نفسه، ص–ص5–6.

[3] زكي الميلاد:**نحن و العالم من اجل تجديد رؤيتنا إلى للعالم** ،ص–ص94–95

مما يدل على أن بزوغ مفهوم تعارف الحضارات ، كان هدفه الأسمى هو تطوير المعرفة بين الحضارات و أن تبنى العلاقات على أساس الاعتراف والتعارف، لذا فإن مفهوم تعارف الحضارات أكثر ضبطا و صوابا من مفهوم حوار الحضارات ، و أوضح تعبيرا عن الرؤية الإسلامية في هذا الشأن ، وأن التعارف هو الذي يؤسس للحوار وينهض به وما تحتاج إليه الحضارات في عالم اليوم هو التعارف يرفع الجهل بصورة كافة، الجهل المسبب للصدام بين الذي الحضارات هنا يصبح التعارف ليس مجرد إطلاع على ما عند الأخر بل هو في جوهره اقتناع ، بعدم احتكار الحقيقة تأسيسا لمشروعية الأخذ والعطاء دون تكبر من المعطي و دون تنكر من الأخذ[1].

3/الفرق بين التعارف و الحوار

ونظرا لربط الكثير من المفكرين والباحثين بين مصطلح الحوار و مصطلح التعارف ارتأينا إلى التحديد الفرق بينهما و هو كالتالي:

• أن دلالة التعارف على عمق ارتباط الصلات الإنسانية أدق من دلالة الحوار .

• التعارف باب و الحوار أداته

• الحوار لا يلزم معه المصير إلى غايات أعمق في العلاقات الإنسانية إذ قد لا يتجاوز المستويات السطحية في تلك العلاقات، بينما التعارف لملازمة معنى المشاركة له منفتح على جل أو كل المستويات للعلاقات الإنسانية، فتنتج عنه مستلزمات كثيرة أهمها: التعاون والإرشاد و الاسترشاد التعارف و مقتضياته دعوة إلى الفطرة البشرية واستجابة لمطلبها

[1] محمد كمال الدين: مصطلح تعارف الحضارات رؤية إسلامية:ضمن كتاب **تعارف الحضارات رؤية جديدة لمستقبل العلاقة بين الحضارات**،ص375

الأصيل الحوار أداة معبرة عن الحق والباطل وعن تطلعات الفطرة و العقل وحاجات الغرائز[1].

•الحوار قد يقضي مع استنفاد أسبابه وملابساته أما التعارف فتثبت معه أثار التعرف ولا تنكر بعده أبدا .

• مفهوم التعارف ذو سعة يمكن أن يشمل كل المعاني التي تدل على التعاون و التعايش ويمكن أيضا أن يستوعب التعارف قيم الحوار والجدل بالتي هي أحسن و الاحترام والتبادل.[2]

وبهذا فإن التعارف هو الذي يحدد مستويات الحوار والتعاون ويثر بهما ويثمرهما، كما أن للمتعارف دورا وقائيا في منع الصراع والصدام على مستوى الأمم والحضارات ولهذا فإن اختيار مفهوم التعارف الذي بنيعليه مفهوم تعارف الحضارات هو أكثر دقة وفاعلية ، ومنه نستنتج انه لا حوار بدون تعارف و حتى لو وقع هذا الحوار إلا أنه لن يستمر ولن يتطور إلى مستويات أبعد.

ثانيا: أسس مفهوم تعارف الحضارات عند زكي الميلاد:

استند زكي الميلاد" في تأسيسه لمفهوم تعارف الحضارات على ثلاث نقاط رئيسية هي فحص ونقد، أصل ومثال، قياس واختبار،و سنحاول فيما يلي تبين هذه الأسس التي أسس بها زكي الميلاد مفهوم التعارف:

[1] محمد مراح: **نحو رؤية اسلامية لتعارف الحضارات**،ص72

[2] المرجع نفسه،ص73

1/الفحص والنقد:

الفحص: يرجع بنا إلى زمن ما قبل الفكرة وتحديدا إلى فكرة حوار الحضارات بحيث إذا نظرنا إلى المجال التداولي لفكرة حوار الحضارات كما وصلنا في المجال العربي، فانه يمكن التوقف أمام محطتين أساسيتين هما[1]:

- **المحطة الأولى:** فكرة حوار الحضارات عند غارودي

هي المحطة الأهم والأساس جاءت في النصف الثاني من سبعينيات القرن العشرين وقد مرت هذه الفكرة بثلاث أطوار مثلت سياقا تاريخيا لا بد من الإحاطة به لتكوين المعرفة بهذه الفكرة [2]وهذه الأطوار هي:

- **الطور الأول:** الدعوة إلى الحوار بين الماركسية والمسيحية وكان الهدف من هذه الدعوة حسب رؤية غارودي هي بناء العلاقة بين التحرر والإيمان، التحرر الذي تمثله الماركسية والإيمان الذي تمثله المسيحية.

- **الطور الثاني:** اعتبر غارودي أن الحوار بين الماركسيين والمسيحيين سوف يظل إقليميا حسب تعبيره، ولن يتقدم إلا في نطاق منطقة ثقافية واسعة وهي منطقة الغرب وأنه من الأهمية في نظره التحول نحو إدارة هذا الحوار على مستوى الحضارات وكانت الغاية من هذا الحوار هي بناء العلاقة بين الإيمان والتاريخ، الإيمان والعالم الإيمان الذي يعطي الشعوب القوة والأمل في تغير العالم والحياة"[3] .

---

[1] شبلي هجيرة: **إشكالية مستقبل العلاقات بين الحضارات زكي الميلاد أنموذجا**، إشراف أ.د عمراني عبد المجيد، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في فلسفة الحضارة، كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية و العلوم الإسلامية، شعبة الفلسفة جامعة الحاج لخضر– باتنة، 2012–2013.ص124

[2] المرجع نفسه ،ص124

[3] زكي الميلاد: **تعارف الحضارات** ،ص56

– **الطور الثالث:** دعا غارودي هنا الى الحوار بين الغرب والإسلام وهي الدعوة التي ظهرت واضحة في كتابيه (دعوة الإسلام) و (الإسلام في الغرب: قرطبة عاصمة الروح والفكر) ، إذا اعتبر غارودي أن العقبة الرئيسية التي تقف في وجه حوار الحضارات هي النظرة التي حملها الغرب منذ مئات السنين عن الإسلام .

إذا وجد في الإسلام الفرص المفقودة في أنظمة الغرب الثقافية والفلسفية والاجتماعية والاقتصادية لذلك أولى أهمية للدفاع عن الإسلام والتعرف عليه[1].

مما يدل على أن الرؤية التي طرحها غارودي كان هدفها هو اكتشاف الأزمة الحضارية التي يعيشها الغرب، والدعوة منه إلى الانفتاح على الأمم الأخرى وتصحيح مساراته .

المحطة الثانية " فكرة حوار الحضارات عند محمد خاتمي:

لقد دعا محمد خاتمي* إلى سنة دولية لحوار الحضارات في خطابه الذي ألقاه في الجمعية العامة للأمم المتحد سنة1998، واستجابت الأمم المتحدة لهذا الاقتراح وحددت سنة 2001. سنة الأمم المتحدة لحوار الحضارات هذه الدعوة بعد الفحص يتمكن النظر إليها من زاويتين:

• الزاوية الأولى: انها جاءت ردا على مقولة صدام الحضارات، المقولة التي تشاءم العالم منها.

•الزاوية الثانية: أن السيد خاتيمي أراد منها أن تعيد تصحيح العلاقات الدولية مع إيران"[2].

[1] زكي الميلاد: **تعارف الحضارات**،ص58

*محمد خاتيمي: الرئيس الخامس للجمهورية الإيرانية ولد 14 اكتوبر 1943 م

[2] شبلي هجيرة:**إشكالية مستقبل العلاقات بين الحضارات زكي الميلاد أنموذجا**،ص-ص125-126

و ما نستنتجه من هاتين الزاويتين أنهما جاءتا من أجل نبذ ونزع الصراع وكل ما يؤدي له، والتصدي له فتح كل السبل والطرق أمام الحضارات من أجل أن تحاور بهدف التعاون و التشارك وتبادل الأفكار في ظل إطار التعايش السلمي.

النقد: هذا عن المجال التداولي لفكرة حوار الحضارات لكن هذه الفكرة لم تتعرض للفحص المعرفي من حيث بنية المفهوم وتركبه، لكن مع التداول الواسع لمفهوم حوار الحضارات دخل المفهوم في دائرة الفحص المعرفي في المجال العرب ونتيجة لهذا الفحص بدأ النقد يتجه لهذا المفهوم و يتعدد في وجهات مختلفة[1].

إذ يرى الميلاد أن نظرية غارودي في حوار الحضارات أراد أن يخاطب الغرب بصورة أساسية لذلك فهي تنتمي وتصنف على النظريات الغربية، وبالتالي لا يمكن الرجوع إلى هذه النظرية إلا في إطار التثاقف والتواصل الفكري، والمعرفي وليس الاعتماد عليها بوصفها نظرية كونية عامة .

كما يقول الميلاد في هذا الشأن بأن هذا هو المأخذ الرئيسي على رؤية غارودي لحوار الحضارات لكونها تستجيب بصورة أساسية لحاجات الغرب ومشكلاته، باعتبارها ناظرة إليه، ولا تلبي أي من جهة أخرى حاجات الحضارات غير الأوروبية[2].

يضاف إلى ذلك أن حوار الحضارات في رؤية محمد خاتيمي قد جاء استجابة لبعض المعطيات والضروريات السياسية في الدرجة الأولى ومن أجل أن تكون خطابا نقديا بديلا لخطاب صدام الحضارات.

[1] شبلي هجيرة:**إشكالية مستقبل العلاقات بين الحضارات زكي الميلاد أنموذجا** ، ص123.

[2] زكي الميلاد: **تعارف الحضارات**،ص64.

2/ الأصل و المثل :

الأصل: يقصد الميلاد بالأصل أن فكرة تعارف الحضارات تستند على أصل من أصول القرآن الكريم والذي هو الأصل الأول وأصل الأصول كما يقول أهل الأصول[1].

إذ يفترض أن يكون في التصور الإسلامي رؤية أو مفهوم يحدد شكل العلاقات بين الأمم والمجتمعات والحضارات الأخرى، وأن القرآن الكريم جاء للناس كافة ورحمة للعالمين وه والرسالة الخالدة للبشر بكل تعدياتهم وتنوعاتهم وهذا من آليات حكمة الله سبحانه وتعالى هذا الاختلاف أو التعدد والتنوع في الاجتماع البشري يفترض أن يتأسس على قاعدة أو مفهوم قد تحدد في القرآن الكريم هو الأصل"[2] .

المثل: استند الميلاد في مفهوم التعارف الى التعارف الوارد في الآية الكريمة في سورة الحجرات في قوله تعالى:" **يأيها الناس إن خلقناكم من ذكر و أنثى وجعلناكم شعوبا و قبائل لتعارفوا** "(الحجرات–الاية13)، فيعد تأمل الفاحص للآية اكتشف الميلاد فيها حقائق كلية ذات أبعاد إنسانية عامة، و اصطلح عليها و بآية التعارف[3].

3/ القياس و الإخبار:

القياس يتعلق باختيار الفكرة في ساحة المجال التداولي أي قياس وجهات النظر حول هذه الفكرة بعد الإعلان عنها[4].

هذا ما تجلى فيما رأيناه سابقا في ظهور النظرية وما سنراه لاحقا في المكانة نظرية بين الأنساق المعرفية الأخرى.

---

[1] زكي الميلاد: **تعارف الحضارات**،ص44.

[2] المصدر نفسه، ص49.

[3] شبلي هجيرة: **اشكالية مستقبل العلاقات بين الحضارات زكي الميلاد نموذجا**،ص128.

[4] المرجع نفسه :ص 131.

ومنه نستنتج أن فكرة تعارف الحضارات تجاوزت رحلة الاختبار، وأصبحت فكرة معروفة على نطاق واسع دخلت المجال التداولي وبات الحديث عنها بوصفها نظرية ثالثة"[1]، ومن هذه الأسس تبلور مفهوم تعارف الحضارات عند الميلاد و ترسخت قناعته به، وأحمس له ودافع عنه وسعى للتعريف والتبشير به.

ثالثا /الخلفية الدينية لنظرية التعارف

مما لاشك فيه أن الدين هو عمود قيام الحضارات و تماسكها و على هذا يرى زكي ميلاد أن الحقيقة التي بحاجة إلى إدراك عميق هي أن العالم الإسلامي لا يمكن له النهوض و التقدم بمعزل عن هذا الدين هذا ما ينبغي الانطلاق منه و التأسيس عليه[2]، و من هذا المنطلق الديني أسس الميلاد نظريته في تعارف الحضارات إذ يقول :" بعد تأمل مستفيض توصلت إلى مفهوم و جدته أكثر دقة و ضبطا و أكثر تعبيرا عن التصور الإسلامي في هذا الشأن و هو مفهوم تعارف الحضارات الذي طرحته في مقابل مفهومي الحوار و الصدام و قد استوجب هذا المفهوم من القرآن الكريم في قوله تعالى :" **يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكرا و أنثى و جعلناكم شعوبا و قبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم** " (الحجرات، 13)، هذه الآية جاءت لتبرز مفهوم التعارف في العلاقة بين الناس كافة شعوبا و قبائل.[3]

فالتعارف الوارد في الآية الكريمة يسع ليشمل التعايش في كل ضروب العمل الإنساني المشترك لما فيه الخير و المنفعة لبني البشر، و هو هدف سام من أهداف الحوار البناء، فالحوار الحضاري الذي يريده الإسلام هو الحوار المحقق للتفاعل بين الثقافات و الحضارات و هو التعارف بالمعنى القرآني السامي الذي هو الأصل في

[1] زكي الميلاد: **تعارف الحضارات**،ص14.

[2] زكي الميلاد :**المسالة الحضارية**،ص75.

[3] المصدر نفسه ،ص92.

التعامل الأمم و الشعوب مع بعضها البعض وفي تعاونها على الخير و العدل و الحق و الأمن و السلام[1].

وعلى هذا تتجلى الخلفية الدينية التي جعلها زكي الميلاد قوام نظريته في تعارف الحضارات و المستمدة أساسا من القرآن الكريم بعد تأمله للآية الكريمة و معرفة مضامينها و أبعادها في المجال الحضاري،وذلك من خلال دراستها بطريقتين هما التحليل و التركيب ، فسنحاول في ما يلي عرض ما توصل إليه الميلاد من خلال الطريقتين:

ا/**الطريقة التحليلية:** وتتحدد في دراسة الآية في عناصرها ومكوناتها الجزئية على النحو التالي:

– " **يا أيها الناس**": الخطاب في سورة الحجرات وهي مدنية كان موجها للمؤمنين حيث افتتحت بقوله تعالى: " يا أيها الذين آمنوا " واختتمت بقوله تعالى: " إنما المؤمنون الذين آمنوا ... "،وما تغير خطاب السورة إلا في هذه الآية مع قوله تعالى: "يا أيها الناس "،وهذا التغير هو انتقال في الخطاب من الخاص " يا أيها الذين آمنوا .... " إلى العام " يا أيها الناس[2] ... ،وقد جاءت الآية بصيغة النداء، وهذا النداء موجه إلى كافة الناس، وهو المصطلح الذي "استخدمه القرآن الكريم في التعبير عن اسم الجنس الإنساني، وهو مصطلح في غاية الدقة، لكونه لا يقبل التجزئة والثنائية والتقابل كما هو حال التسميات الأخرى القريبة منه ،مثل الأمة والشعب والمجتمع والجماهير وغيرها، فالأمة مثلا تسمية تطلق على جماعة من الناس، وهي تسمية تقبل الجمع في الأمة، ويق الأمم، وكذلك تسمية الشعب التي تطلق على جماعة من الناس، وجمعها شعوب، وكذلك تسمية المجتمع، أما تسمية الجماهير في قابلها النخبة، لكن عندما يقال كلمة الناس فإنها يراد منها العموم، أي الناس كافة، وهي لا تقبل التجزئة إلا إذا أدخلنا عليها لإضافة كأن نقول

[1] صحراوي نادية،طاهري زهرة : **الخلفية الدينية لنظرية تعارف الحضارات عند زكي الميلاد**،ص–ص56–57.

[2] زكي الميلاد :**المسألة الحضارية**،ص93

جماعة من الناس، وهذا الاستعمال هو من بلاغة القرآن الكريم، الذي نزل لمخاطبة الناس كافة في كل زمان ومكان،لأنه الكتاب الذي فيه هدى ورحمة للعالمين .

- " **إنا خلقناكم من ذكر وأنثى**": يتمثل محور النقاش في هذا الجزء من الآية حول رأيين:

الأول خاص ويتصل بنفي التفاخر بالأنساب لأن المراد من الذكر و الأنثى، أي من أب واحد هو آدم وأم واحدة هي حواء .

الثاني عام ويتعلق بسياق نفي مطلقا لتفاخر والتفاضل الطبقي والعرقي، اللغوي والقومي وغيره.

والمعنى: يا أيها الناس إنا خلقناكم من رجل وامرأة فكل واحد منكم إنسان مولود من إنسانين لا تفترقون من هذه الجهة،و الاختلاف الحاصل بين الشعوب والقبائل، هو اختلاف راجع إلى الجعل الإلهي، ليس لكرامة وفضيلة وإنما لأن تتعارفوا فيتم بذلك اجتماعكم.

-"**وجعلناكم شعوبا وقبائل** ":الشعوب وهي جمع الشعب،أي الجماعة الكبيرة من الناس الذي يصدق عليهم ما هو متعارف عليه اليوم في تقسيم الأمم والمجتمعات إلى شعوب، وقبائل جمع قبيلة وهي أصغر من الشعب[1].

-"**لتعارفوا**": إن الشعوب والقبائل مهم تعددت وتشعبت على امتداد مساحة الأرض المترامية الأطراف، إلا أنها مطالبة بالتعارف فيما بينها، كمبدأ في العلاقات المحلية والدولية الداخلية والخارجية، كما أن هذا المبدأ يفيد نفي النزاع والصراع، وكل السيطرة والهيمنة بين الشعوب والقبائل.

[1] زكي الميلاد :**المسألة الحضارية**، ص94

– " **إن أكرمكم عند الله أتقاكم** ":إن القرآن الكريم لا ينفي مبدأ التفاضل بين الناس، وبين الشعوب والقبائل، وإنما ينفي القيم التي كان الناس آنذاك يتفاضلون على أساسها، كقيم القوم والقبيلة والعشيرة والعرق وهذه الآية جاءت نقدا ونفي إلى مثل هذه القيم وتدعو الناس إلى التفاضل بالتقوى .

"**إن الله عليم خبير**": يفرق العلماء بين لفظي الخبير والعليم، فالخبير يفيد معنى العليم، ولكن العلم إذا كان للخفايا الباطنية سمي خبرة، وسم يصاحبه خبيرا، فالله سبحانه وتعالى حينما خلق الناس من ذكر وأنثى، وما خلق لهم في هذه الحياة وخبير حينما جعلهم شعوبا وقبائل وفي كل ما قدر لهم[1] .

ب/الطريقة التركيبية: أورده الميلاد على شكل مستخلصات عامة، لمعرفة عناصر الآية ومكونات مفهوم تعارف الحضارات،ومن هذه المستخلصات:

إن القرآن الكريم خطاب إلى الناس كافة من دون أن يتحيز إلى أمة بعينها ومن دون أن يفاضل أمة على أخرى بسبب القوم أو العرق أو اللغة أو اللسان، وهو خطاب صالح لكل زمان ومكان.

– التأكيد على وحدة الأصل الإنساني، فالإنسانية بكل تنوعاتها العرقية والقومية واللغوية واللسانية، الدينية والمذهبية، وبكل تصنيفاتها الأخرى الاجتماعية والعلمية والاقتصادية، إنما ترجع إلى أصل واحد، والقرآن الكريم لا يريد أن يقدم هذا اكتشافا، وإنما يريد أن تدرك الإنسانية هذه الحقيقة وتحكمها كمبدأ في نظرة كل إنسان إلى إنسان آخر، ونظرة كل أمة إلى أمة أخرى .

– إن القرآن الكريم يدعو الناس لأن ينظروا لأنفسهم بوصفهم أسرة إنسانية واحدة على هذه الأرض مهما اختلفوا في اللون واللسان ومهما تباعدوا في المكان وأن يكون هذا

[1] زكي الميلاد :**المسألة الحضارية**،ص95

سعيهم ومنطقهم في الحياة الدنيا، ولا يصح النظر إلى هذا المنطق القرآني على أنه مثالية، بل هو من عليم خبير، يدرك بواطن الأمور[1].

– ضرورة أن يتعامل الناس في ما بينهم على أساس مفهوم الأسرة الإنسانية المشتركة أو واحدة، وهو تعامل يعبر عن أعمق المكونات الروحية والأخلاقية في الروابط بين الأمم والشعوب والحضارات، لإزالة الأحقاد والعصبيات والعنصريات و الكراهيات بين الناس المتسببة في إثارة النزاعات والصراعات.

– إن التنوع والتعدد في الاجتماع الإنساني حقيقة موضوعية يؤكدها القرآن الكريم، لينتشر الناس في الأرض ويعمروها ويستفيدوا من خيراتها.

– ربط القرآن الكريم بين وحدة الأصل الإنساني وبين التنوع الإنسان يمما يعني أن وحدة الأصل الإنساني لا تعني إلغاء التنوع بين الناس في أن يعيشوا شعوبا وقبائل (ومن بلاغة القرآن الكريم تقديم وحدة الأصل على قاعدة التنوع لكي يكون التنوع متفرعا عن الأصل) .

– استخدم القرآن الكريم كلمة "الخلق" وكلمة "الجعل" في هذه الآية فما الفرق بين الخلق والجعل؟ ،الخلق يعني الإيجاد ابتداء من العدم من غير صورة سابقة أو نسخ أو مثال وهذا لا يجري إلا في حق الله جلت قدرته، والإنسان لا يعد خالق على الإطلاق في كل ما اكتشفوا اخترع، وما حققه من تقدم وإنجاز ولا يصدق عليه وصف الخلق، فالإنسان مجرد مكتشف لقوانين الطبيعة التي أودعها الله في عالم الطبيعة، والكون والحياة والإنسان، أما الجعل فهو التقدير الذي يأتي بعد الخلق ويتصل بتحديد الوظائف والخصوصيات وما يترتب عليها لاقتضاء، فالله سبحانه وتعالى خلق الذكر و الأنثى لأنه

[1] زكي الميلاد :**المسألة الحضارية**،ص-ص95-96

العليم، وجعل الناس شعوبا وقبائل أي قدر لهم ذلك لأنه الخبير، ولهذا فإن البشر لا يمكن أن يعيشوا إلا شعوبا وقبائل .

– يؤسس القرآن مبدأ التعارف بين الأمم والشعوب والحضارات، لحكمة إن التنوع بين الناس إلى شعوب وقبائل لا يعني أن يتفرقوا أو أن تعيش كل أمة في عزلة عن الأمم الأخرى، أو أن يتصادموا من أجل الثروة والقوة والسيادة وإنما ليتعارفوا[1].

– من دون أني كون هناك تعارف بين الأمم والحضارات، لن يكون هناك حوار و لا تعاون، كما أن التعارف له دور وقائي في منع النزاع والصدام بين الحضارات.

ما يؤكد حيوية وفاعلية مفهوما لتعارف،أنه يحمل معه جملة من المفاهيم المتصلة والمتفاعلة والمتكاملة معه، كالانفتاح والتواصل والسلام ومد الجسور ورفض الانغلاق والقطيعة والكراهية والتي هي شرائط التعارف من جهة تحققه.

– يتجاوز مفهوم التعارف الحدود السطحية المتعارف عليها ويقصد بها لتعارف على مستوى الأمم والمجتمعات والحضارات والذي من أبعاده أن تتعارف كل أمة وكل حضارة على إمكانات وقدرات وثروات الأمم الأخرى ،بالإضافة إلى معرفة الظروف والمشاكل والتحديات التي تحيط بهذه الأمم والحضارات، ومعرفة كل ما يتوقف ويترتب عليها لتعارف في هذا النطاق.

– إذا التزمت الأمم والشعوب بمبدأ التقوى، ترفعت عن الأحقاد والعصبيات وتعالت على عالم مصالح الدنيا[2].

كما الإنسان الفرد له كرامة فالأمة لها كرامة، لأن الكرامة هي التعبير الحقيقي لوجدان كل أمة وهي التي تشكل للأمم نظرتها إلى ذاتها، و إلى مكانتها وسيادتها وعزائها

[1] زكي الميلاد : **المسألة الحضارية**، ص97.

[2] المصدر نفسه، ص 98

وأكثر ما تصاب به الأمم حينما تتأثر كرامتها حتى قيل أن ألمانيا دخلت الحرب العالمية الثانية انتقاما من الإذلال الذي فرضه عليها دول الحلفاء بعد هزيمتها في الحرب العالمية الأولى.

في المنظور الإسلامي العلاقات بين الأمم والشعوب والحضارات لا تنحصر في المصالح السياسية، والمنافع الاقتصادية وإنما ترتكز على القيم والآداب والأخلاق " التقوى"[1].

هذه بعض المستخلصات العامة من هذه الآية الكريمة التي قدمها الميلاد، التي تكون لنا بمجموعها إطار استند عليه في تأسيس مفهوم تعارف الحضارات،

[1] المصدر نفسه،ص-ص99-100.

المبحث الثاني: شمولية الرؤية في نظرية التعارف و أبعادها الإنسانية

أولا: الكونية الإسلامية و رؤية العالم:

مما لاشك فيه أن الإسلام دين و رحمة للعالمين قال سبحانه تعالى:" **و نزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء**"(النحل 89)، هذا ما يشير إلى أن الإسلام قد جاء برسالة واسعة شملت الحقائق الكلية للكون و الحياة و قواعد العيش الأمن و حقائق المخلوقات و غيرها، فشمولية الإسلام تتجلى في تلك الحقائق و القواعد التي جاء بها لتنظم الكون و تقدم للإنسان كل ما يحتاج إليه، كما أن الرسالة الإسلامية لم تقتصر على المسلمين وحدهم ،بل هي رسالة كونية عالمية تشمل المسلمين و غير المسلمين قال تعالى :" **و ما أرسلناك إلا رحمة للعالمين**". (الأنبياء، الآية 107) .

فالإسلام منظومة قيمية من شأنها أن تجعل الحياة الإنسانية مثالية و قابلة للتعايش فيما بينها، رغم وجود هذا التعدد و الاختلاف في القوميات و الأديان و الثقافات و الأجناس، فالرؤية الإسلامية تقر بالاختلاف و التنوع في المجتمعات الإنسانية فهو خطاب إلى الناس كافة، وتذكير بوحدة الأصل الإنساني، و قرار بالتنوع بين البشر[1]، فالتباين هنا بين البشر دون أن يكون ذلك مدعاة للتفاخر و التمايز و تجسد نسق المعرفي الإسلامي المبنية عن رؤية إنسانية منفتحة على العالم إيمان راسخ بالاختلاف سنة كونية[2].

فالخطاب الإسلامي منظومة تعلي من قيمة الإنسانية و ترسخ لمبادئه خصوصا تلك المتعلقة بالمعمالات اتجاه الآخر ، هذا ما يتضح جليا في مظاهر الحضارة الإسلامية،إذ

[1] زكي الميلاد: **تعارف الحضارات**، ص83

[2] المصدر نفسه، ص 84

نجد أن الحضارة الإسلامية تستقي ضرورة فعل العدل و ترك الظلم و كذلك الإعلاء من فضيلة الصدق على الكذب من الأمر الديني المباشر و هو أمر محمود في ذاته [1].

و بهذا يكون التصور الإسلامي التوحيدي يعبر الشمولية الممثلة لجوهر العقيدة و التي من شأنها أن ترسم المسار الذي يسير عليه التوجه الحضاري كله[2].

و من خلال هذه المنظومة القيمية الشاملة التي جاءت بها الرسالة الإسلامية من شانها أن تضمن التفاعل المثالي لعلاقة الإنسان بربه و علاقة الإنسان بالإنسان و الإنسان بالحياة، كما أن هذا النموذج الإسلامي أن يجعل من الفعل الحضاري مقصدا تكون غايته عمارة الأرض و إصلاحها، فهي تلك الرؤية العالم التي بلورها هذا النموذج الإسلامي و التي قام عليها البناء الحضاري[3].

ثانيا: الكونية الإسلامية و تعارف الحضارات :

إن الرؤية الكونية الإسلامية التي جاء بها الإسلام بأبعادها الإنسانية التي تتصف بالكونية التي تضمن لحياة الإنسانية حقوقها و تعايشها في ظل العالم الواحد، كونية يسودها السلم و السلام،و من هذا المبدأ تتجسد الأبعاد الإنسانية و الحضارية و التي سعى زكي الميلاد الأخذ بها في نظريتيه نظرية تعارف الحضارات، لتكون بذلك نظريته أخذت الطابع الديني في ترسيخ القيم الإنسانية انطلاقا من قوله تعالى :"**يا أيها الناس إن خلقناكم من ذكر و أنثى و جعلناكم شعوبا و قبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله اتقاكم**" (الحجرات،الاية13).

[1] كي الميلاد: **تعارف الحضارات**، ص84

[2] عبد الله محمد امين: **الرؤية الاسلامية و المسالة الحضارية**، ص42

[3] المرجع نفسه ،43

وعلى هذا فإن الرؤية الإنسانية و الكونية هي المنطلق الأساسي في نظرية تعارف الحضارات، و التي من شأنها أن تجعل الإنسانية كافة إلى إقامة علاقات فيما بينها و الانفتاح عن الآخر على أساس التعارف و التفاعل و التعايش بعيدا عن وهم الجهل و تقريب المسافات بين الأفراد و الشعوب و إتاحة الفرصة لها لاختيار تمثلاتها للآخر بناءا على معاييرها و بناء على معرفتها مع الآخر[1].

فهذه الدعوة الإسلامية للانفتاح عن الآخر و فهمه على صورته الحقيقية من شأنها إزالة كل الأوهام و الأحكام المسبقة عن الأخر، لن يكون هذا إلا عن طريق التعارف و التواصل مع الآخر، فيقول زكي الميلاد عن التعارف :" هو الذي يحدد مستويات الحوار و التعاون و يثريهما و يثمرهما فهو لمعرفة الآخر على حقيقة و تصحيح الصورة المسبقة عنه."[2]

و على ضوء هذا فإن الرؤية الإسلامية الشمولية في نظرتها للعالم و الإنسانية أجمع هو المبدأ الذي انطلق منه الميلاد في نظريته تعارف الحضارات نحو تجسيد هذا المبدأ من خلال تعارف الحضارات فيما بينها.

ثالثا:المرامي الإنسانية و الحضارية في نظرية تعارف الحضارات :

إن ما يشهده العالم اليوم من تصادم سواء تصادم سياسي أو ثقافي أو غيرها بين الأمم و الشعوب و القوميات و انسداد قنوات التواصل، فأضحت كل أمة و كل حضارة تأخذ أحاكم مسبقة عن الأخرى،أحاكم يسودها الوهم و الضباب و الفهم الخاطئ، مما يجعل الحضارة الإنسانية في حالة جمود و صراع دائم مع الآخر، فنظرية تعارف الحضارات التي جاء بها زكي ميلاد هي رؤية جديدة لمستقل العلاقة بين الحضارات و

[1] زكي الميلاد: **تعارف الحضارات**،ص 57.

[2] المصدر نفسه،ص58.

التي من شأنها إذابة هذا الجمود الحضاري و وضع حد للخلاف الذي تشهده العلاقات الحضارية،و ما يميز هذه الرؤية الجديدة هي تلك الأبعاد التي تتحقق من وراء تطبيقها التي لها انعكاسات إيجابيه تتجلى مظاهرها على حياة الإنسانية و الحضارية اجمع،يقول زكي الميلاد :" و أخيرًا فإن مقولة «تعارف الحضارات »، لا تعني مجرد الاعتراف بتعدد الحضارات وتنوعها، و إنما تستند على ضرورة بناء وتقدم الحضارات في العالم، وتأسيس الشراكة الحضارية فيما بينها، وتبادل المعرفة والخبرة، فالعالم ليس بحاجة إلى حضارة واحدة، و إنما إلى استنهاض الحضارات كافة."[1]، هذا ما يبرز أن نظرية تعارف الحضارات هي رؤية عالمية لا تقتصر عن حضارة دون سواها أو أمة دون الأخرى.

فالتعارف إذا هو المنطلق الذي انطلاق منه زكي ميلاد في هذه الرؤية الجديدة لمستقبل العلاقة بين الحضارات،فالتعارف هو ما تحتاج الإنسانية اليوم وهو الكفيل بالرقي و النهوض بها و إزالة كل ما يعيق التفاعل الحضاري، فيقول زكي الميلاد في هذا الشأن :" أن التعارف هو الذي يؤسس للحوار وينهض به، وما تحتاج إليه الحضارات في عالم اليوم هو التعارف الذي يرفع الجهل بصوره كافة، الجهل المسبب للصدام بين الحضارات، في المقابل أن التعارف هو الذي حافظ على تعاقب الحضارات في التاريخ الإنساني."[2]

و على ضوء هذا يتبين لنا أنه من دون أن يكون هناك تعارف بين الأمم والحضارات، لن يكون هناك حوار ولا تعاون، كما أن التعارف له دور وقائي في منع الصراع و الصدام بين الحضارات، ما يؤكد حيوية وفاعلية مفهوم التعارف، أنه يحمل معه جملة من المفاهيم المتصلة و المتفاعلة والمتكاملة معه ، كالانفتاح والتواصل والسلام ومد الجسور ورفض الانغلاق والقطيعة و الكراهية و التي هي شرائط التعارف.

[1] زكي الميلاد: **تعارف الحضارات**،ص87

[2] المصدر نفسه ، ص87

كما أن التعارف هو الإقرار و الإعلاء من شأن الآخر و الاعتراف به و بخصوصيته في ظل هذا الاختلاف و التنوع، فالاعتراف بالآخر والإقرار له بخصوصية لم يعد مبدئيا شأنا دينيا أو عقيديا فحسب، ولا نظرية منتزعة عن الحياة العملية للإنسان، بل حاجة ماسة فيظل الحضور الكثيف والفاعل للرأي والرأي الآخر، وفي لحظة زمنية واحدة على مسرح الحياة اليومية في عالم باتت تحكمه نظرية العولمة الشهيرة[1].

ولعل ابرز ما يمكن أن تقدمه نظرية التعارف للحضارات الإنسانية نلخصها في:

1-التقارب والتسامح: فالتعارف الإيجابي هو الذي يبذل فيه كل طرف أقصى جهوده للتعرف على ما يقربه من الطرف أو الأطراف الأخرى التي تشاركه التطلع نفسه، فيبحث القائمون بالتعارف والتحاور في ثقافات و حضارات عما يقرب بينهم نحو كل ما هو إنساني معبر عن جوهر الإنسان و فطرته لتحقيق الوفاق بين الحضارات[2] .

2 – التعايش السلمي:و يتطلب تعميقا بالغا بفلسفة السلام و أفكاره، و تفكيرا جادا للخروج بالمسألة من حسابات و مصالح السياسيين و العسكريين و أصحاب المنفعة من صناعة التسلح،إلى ساحات التوعية العامة و اصطناع جماعات الضغط من دعاة السلام العالمي العادل في كل حضارة، بل في كل مجتمع، فتسود المجتمع الدولي ثقافة حضارية تمنح فكرة السلام صورها الحقيقية بأن تضمن وضعها في ذمة المبادئ لا المصالح .

3 – فك عقدة الهيمنة وتجاوز عقيدة الصراع: لأن الحضارة الغربية الحديثة بنيت على الصراع والهيمنة فأهلكت الحياة، وما يزال الصراع هو المحرك الأساس لسياسة الغرب و أفضل نموذج لها لسياسة الأمريكية القائمة على ضرورة خلق العدو الذي يسمح للفرد بنعمة الحرية الشخصية،ولتجاوز هذا الأمر يتطلب لقاءات ومحاورات مستمرة بين النخب

[1] المصدر نفسه ،ص-ص88-89

[2] محمد مراح: **نحور رؤية إسلامية لتعارف الحضارات**، ص100

المفكرة لشتى الحضارات والمجتمعات المعاصرة تراجع فيها الكثير من المفاهيم التي أصبحت من المسلمات في المنظومة الفكرية الغربية والتخلي عن نزعة الاستئثار بتحديد المفاهيم كالديمقراطية، وحقوق الإنسان والحرية و التطور والتنمية وغيرها.

4 – معرفة الآخر على حقيقته وتصحيح الصورة المسبقة عنه: فكثيرا ما رسمت الحضارات صورا نمطية لغيرها من الحضارات، فلا تنظر إليها إلا من خلال تلك الصورة وتخضع حسابات التعامل معها لمقتضاها[1].

وكثيرا ما تكون تلك الصورة مغلوطة لعدة أسباب،ولكن من شأن الدفع بمشروع تعارف الحضارات أن يؤدي خدمة جليلة للإنسانية فيتعرف كل عّلى صورة الآخر كما هي،وهذا التوجه تعليم رباني كريم لنا نحن المسلمين إذ نحب أن يتعرف علينا الناس و نتعرف على الناس وهذا الأمر يحملنا على مجادلة أهل الكتاب بالتي هي أحسن، و من النتائج المنتظرة لهذا السلوك الحضاري معالجة عقد الاستعلاء. و الحقد والتخلف و اللانسانية فمن مهام التعارف الحضاري وأهدافه التي ينبغي أن تكون محل عناية شديدة من جانب النخب المتعارفة والمتحاورة، الارتفاع بمستوى مجتمعات ما بعد الاستعمار المتخلفة إلى مستوى الحضارة، و الارتفاع بمستوى الرجل المتحضر المتلطخ بإثم الاستعمار إلى مستوى الإنسانية[2] .

5 – تشجيع فكرة الانتفاع المتبادل من خيرات الأرض:من خلال التعاون، فالرؤية الإسلامية تنطلق من عقيدة أن الله لم يخلق الأرض لنسفك الدماء، بل لينتفع كل فريق بخير ما عند الفريق الآخر، فإذا كانت الأرض مختلفة فيما تنتجه، فالإنتاج كله للإنسانية كلها. و هذا توجه يخالف سلوك الحضارة الغربية القائمة على أبشع صور الاستغلال و تبريره بدعاوى التقدم .

[1] محمد مراح: **نحور رؤية إسلامية لتعارف الحضارات**، ص-ص100-102

[2] المرجع نفسه، ص102.

6 – احترام الخصوصيات الحضارية:التي تميز كل حضارة عن الأخرى، فتشكل الحضارات تنوعا فسيفسائيا من الثقافات يغني الحضارة العالمية، وتبقى مسألة الأخذ والترك منها محل اختيارات إنسانية تقديرية تكيفها كل حضارة مع ما تراه متناسبا مع أوضاعها وقيمها ومرحلتها الحضارية، فتستنفر قواها الإبداعية في هذا الجو المتفاعل حضاريا لتطوير نفسها داخل نسقها الحضاري، وبعيدا عن مضار العزلة والتقوقع فتخرج الحضارة الإنسانية من الأحادية الحضارية ويعرف العالم تجربة التعددية الحضارية التي تزدهر فيها قوى الإنسان وقدراته الإبداعية، و تتخاطب الحضارات والثقافات بلغة المنافسة الشريفة يطوى معها منطق الصراع والصدام و الغلبة المبيدة و التبعية الذليلة[1].

[1] المصدر نفسه،ص-ص103-104

المبحث الثالث : تعارف الحضارات رؤية و واقع

أولا: مقولة تعارف الحضارات و الأنساق المعرفية المقابلة و المشابهة:

1/ تعارف الحضارات في مقابل مقولة الصدام :

منذ أن أطلق المفكر السياسي صامويل هنتغتون نظريته المسماة ب "صدام الحضارات" و السجلات حولها لم تنتهي،إذ أنها واجهت العديد من السجلات التي دعت إلى رفضها ، وقد يكون أبرز من تصدى لهذه النظرية المفكر الفرنسي روجيه غارودي عبر أطروحته الشهيرة التي أطلق عليها اسم "حوار الحضارات"، والتي تأتي في مقام النقد والرد لنظرية صدام الحضارات، وقد كتُب لهذه الأطروحة الانتشار الواسع أيضًا، فلقد تبنتها العديد من الجهات والبلدان والشخصيات وروجت لها، وأقامت لأجلها العديد من الندوات والمؤتمرات التي كان شعارها هو "حوار الحضارات"، وبالخصوص الحوار بين الحضارة الإسلامية والحضارة الغربية.بين مقولة صدام الحضارات ومقولة حوار الحضارات يطرح المفكر زكي الميلاد أطروحته المسماة ب تعارف الحضارات، وهي أطروحة ذات رؤية إسلامية كطرح معرفي ثالث يديلا عن الطرحان المعرفيان إذ يقول الميلاد :" التعارف هو أرقى المفاهيم، وأكثرها قيمة وفعالية، ومن أشد وأهم ما تحتاج إليه الأمم والحضارات، وهو دعوة لأن تكتشف وتتعرف كل أمة وكل حضارة على الأمم والحضارات الأخرى، بلا سيطرة أو هيمنة، أو إقصاء أو تدمير. والتعارف هو الذي يحقق وجود الآخر ولا يلغيه، ويؤسس العلاقة والشراكة والتواصل معه لا أن يقطعها أو يمنعها أو يقاومها."[1]

[1] زكي الميلاد : **المسألة الحضارية**، ص36

ففكرة تعارف الحضارات التي قال بها الميلاد هي فكرة معارضة لمقولة هنتغتون بصدام الحضارات لكن لو تسألنا مع زكي الميلاد: هل نحن في الواقع الفعلي الذي نعيشه نشهد صدامًا للحضارات أم حوارًا وتعارفًا ؟!

إن هذا السؤال لم يفت المفكر الميلاد بالإجابة عليه، وفي ذلك يقول: " و الحقيقة أن ما ذهب إليه "هنتغتون" هو صحيح من حيث الواقع الموضوعي الذي عليه العالم اليوم، فنوعية الرؤية التي تعبر عنها كل حضارة من الحضارات المعاصرة عن نفسها، وعن رؤيتها للآخر، ينتهي بها إلى التصادم، وهو الواقع بالفعل الذي أوصل الحضارات المعاصرة إلى التصادم. فالذي يعيشه اليوم هو تصادم بين الحضارات، ونحن على هذا الحال منذ عدة قرون من الزمان.. والذي اختلف أن وعينا بهذا التصادم اليوم هو أكبر وأوسع من السابق، و الذي يكبر ويوسع هذا الوعي في أذهاننا هو ما نراه ونلمسه من تداخل شديد بين أجزاء العالم المترامي الأطراف، الذي بات يختزل نفسه في ما يشبه القرية."[1]

وبعد ذلك، نجد أن المفكر الميلاد لم يكتفي فقط ببيان الوضع القائم الآن، بل ذهب إلى ما هو أبعد من ذلك، إذ وجه أصابع الاتهام للغرب بكونه هو المتسبب لهذه الحالة التي يعيشها العالم حاليًا من صدام وصراع، حيث يقول:"وما ينبغي أن يتوقف عنده بالدراسة والتحقيق، خصوصًا من مؤرخي العصر الحديث، أن الغرب تاريخيًا هو الذي أدخل العالم في صراع الحضارات، وكان هو الطرف الصادم للحضارات، في الأزمنة التي كان يشهد فيها تصاعده المتفوق، وكل الأمم والحضارات التي احتك بها الغرب خرجت بموقف ناقم منه.لتوجهاته العدوانية، وأما الأمم التي أدخلها الغرب تحت سيطرته

[1] زكي الميلاد : **المسألة الحضارية**، ،ص62

فقط أصابها من التدمير في البنى التحتية الأساسية ما شل قدرتها على الإنماء والنهوض لفترة طويلة من الزمن"[1].

لكن السؤال الذي يراودنا هنا باعتبار أن الحوار جاء معارضا لمقولة الصدام فلماذا لا يكون الحوار منطلق أو مبدأ العلاقات الحضارية؟.

يجيبنا الميلاد في هذا الشأن اذ يقول :" ومع ذلك فإن من المبرر أن يعاد طرح مقولة حوار الحضارات مع ما أثارته من جدل لم ينقطع بعد، مقولة صدام الحضارات، لأن حوار الحضارات هي المقولة الجاهزة والاعتراضية على المقولة الثانية، لكن هل في مقدورها الحلول مكانها؟، هذا ما يصعب إثباته. قد تستخدم وسيلة اعتراض ونقد، لكن أن تكون هي الأساس في تشكيل رؤية الغرب للعالم والمستقبل، فهذا محل خلاف لعدم وجود ما يسنده من الأدلة والبراهين والشواهد"[2].

فمقولة الحوار هي طرحت في مقابل الصدام ناقدة و معترضة لكن تبقى تعبر عن رؤية غربية من الصعب تجسيدها على ارض الواقع ويلخص الميلاد وجهة نظره في ذلك قائلًا:" يبقى أن مقولة حوار الحضارات، هي أصلح وأسبق من مقولة صدام الحضارات على مستوى المعرفة والفكر، لكن الوصول إليها كواقع وممارسة تقف دونه مسافات طويلة تمنع من أن يتقدم العالم خطوات نحوها."[3]

2/التشابه بين نظرية تعارف الحضارات و نظرية هابرماس التواصلية :

إذا أردنا أن نقرب مفهوم التعارف إلى بعض الحقول المعرفة الإنسانية ، فإن هذا المفهوم يشترك في نسق معرفي متقارب أو متجاور لمفهوم التواصل عند الفيلسوف

[1] زكي الميلاد :**المسألة الحضارية**، ص63-64

[2] المصدر نفسه ،ص 69

[3] المصدر نفسه ،ص70

الألماني "يورغن هابرماس"* وهو نمطا جديدا في العلاقات الإنسانية مغايرا للنمط القديم الذي يغلب عليه طابع الأدائية نحو عقلانية جديدة تعرف بالعقل التواصلي وفي ما يلي سنعرض أهم نقاط بين النظرتين :

ا/ إن تعارف الحضارات هو مفهوم جديد،والكشف عن أي مفهوم جديد يستدعي من الناحيتين المنهجية والمعرفية،اختبار هذا المفهوم من مختلف جهاته التي يتصل بها، حتى تكتشف أبعاد هذا المفهوم وعناصره، وتتضح هويته وماهيته، وتتبلور حدوده وعلائقه و هذه الطريقة تتحدد صورة المفهوم، ويصك ويستوي على سوقه. فالتواصل مهما قلنا عنه من تفسيرات وتأويلات ،هو مفهوم ناظر إلى الآخر، وهكذا الحال مع مفهوم التعارف.

ب/ إن هذه المقاربة مع مفهوم التواصل تنطلق أساسًا من خلفية انتساب هذا المفهوم إلى حقل المعرفة الإنسانية وليس بوصفه مفهوما غَربيا مَتطبعا بًالثقافة الغربية ومتسلحًا بالأيديولوجيا الأوروبية. والمفترض أن لا خشية كثيرًا من المفهوم الذي ينتسب إلى الحقل المعرفي وإلى المعرفة بصورة عامة من جهة المس بالهوية أو اختراق الثقافة أو الإصابة بالتغرب أو غير ذلك من هواجس ومخاوف[1].

ج/ كما أرد الميلاد من هذه المقاربة أيضًا القول إن التواصل هي فكرة سهلة وبسيطة مع ذلك تحولت إلى نظرية عرف واشتهر بها هابرماس في المجال الأوروبي والإنساني عمومًا وجرت حولها نقاشات فكرية وفلسفية لم تنقطع إلى اليوم. وهذا يعني أن بإمكان فكرة تعارف الحضارات أن تتحول إلى نظرية لا تقل أهمية وقيمة في المحتوى الفكري والأخلاقي والإنساني من نظرية التواصل خاصة وأن فكرة التعارف تستند على أصل متين يرجع إلى القرآن الكريم والذي هو أصل الأصول عند المسلمين كافة الاستناد الذي

* يورغن هابرماس: فيلسوف و عالم اجتماع ألماني و لد سنة 1929 م

[1] شبلي هجيرة: **إشكالية مستقبل العلاقة بين الحضارات زكي الميلاد نموذجا**،، ص-ص135-136.

يضاعف من قيمة هذه الفكرة ويرفع من منزلتها ويكسبها قدرة على البقاء والديمومة. لهذا كان في تصور الميلاد أن هذه الفكرة حتى تنتقل وتتحول إلى نظرية هي بحاجة إلى إنماء معرفي متجدد ومتراكم وإلى مزيد من النقاش العلمي و إلى حالة من الاحتضان والتضامن الفكري والأخلاقي.

د/ إلى جانب تلك الخلفيات والأبعاد وجد الميلاد أن بإمكان هذه المقاربة تقريب الكتاب والباحثين والمثقفين عمومًا من فكرة تعارف الحضارات بوصفها فكرة جديدة بحاجة إلى نوع من العناية والالتفات وإلى تكثيف النقاش حولها، ودفعها نحو المجال التداولي. وكان في ظنه إن هذه المقاربة بإمكانها أن تمثل إغراء معرفيًا ينجذب إليه هؤلاء الكتاب والمثقفون الذين تستحوذ على اهتمامات هم عادة مثل هذه المقاربات التي لا تخلو من إثارة وطرافة وما تتسم به من جدل ونقاش وما تظهر فيها من فورقات ومفارقات. هذا ما كان يقصد الميلاد فعلا من هذه المقاربة بين فكرة تعارف الحضارات وفكرة التواصل عند هابرماس.[1]

ثانيا : التحديات التي تواجه مقولة تعارف الحضارات :

إن الواقع يكشف أن هناك جملة من الصعوبات التي تعترض سبيل التعارف، لكن من شأن البحث الجاد والمؤمن بتعارف الحضارات وجدواه على مستقبل الإنسانية، الوقوف عند هذه المعوقات ليس بغرض تثبيط العزائم والهمم، وإنما للبحث في كيفية تجاوز هذه الصعوبات وتذليلها لتحقيق جملة من الأهداف والآفاق التي يسعى التعارف لتحقيقها، ومن بين هذه الصعوبات نجد:- **التطورات التكنولوجية الهائلة:** التي ميزت القرن العشرين وأضحت القوة البديلة للقوى المهيمنة في السابق، فوسائل الإعلام و الاتصال الحديثة- يهيمن عليها أصحاب المصانع والإمبراطوريات المالية والصناعية والتجارية الكبرى

[1] شبلي هجيرة: **اشكالية مستقبل العلاقة بين الحضارات زكي الميلاد نموذجا**،ص 136.

وأصحاب عقيدة معاداة تآخي الإنسانية– باتت تصنع الحرب والسلم والخوف والرعب والأنانية والكراهية وغيرها. ولتجاوز هذا العائق يتعين علينا إنشاء مواقع عبر شبكة الانترنت بلغات العالم المختلفة ليتسنى لأبناء مختلف الحضارات التواصل حول القضايا الكبرى التي تشغل بال الإنسان المعاصر تحت شعار التعاون والتعارف والتنوع والتعدد الثقافي، وإنشاء منتديات فكرية عالمية تضم النخب المؤمنة بالتعارف الداعية لتفعيله من خلال أنشطة ومنشورات ثقافية لتحقيق التقارب وفضح مغالطات و ادعاءات وسائل الإعلام المضللة الموجهة من طرف الغرب، وتوجيهها نحو التعايش مع الحضارات الأخرى.

–**العائق الديني:** إذا كان الدين يمثل جوهر كل حضارة، والالتفاف حول المعتقد في حالات الشحن والتعبئة العاطفية أو المقابلة الفكرية بين المعتقدات حقيقة مشهودة، مما يضيق مساحة العقل لمواجهة المسائل بموضوعية.

هنا يبرز التعارف باعتباره مبدأ إسلامي يدعو بالتي هي أحسن، حيث لا إكراه في الدين، أن الغاية من التعارف ليس تنقل أهل دين إلى دين آخر، وهنا ينبغي التطلع إلى بحث القواسم المشتركة بين الحضارات كرفض الظلم وطلب الحرية والعدل ومحاربة الاستغلال بكل أشكاله وغيرها، وهي مما تلتقي القيم الحضارية السوية والعقول السوية على رفضها، فتضطر العقائد غير النقية من هذه الآفات، أن تكيف عقائدها مع غيرها أو تبريرها أو لانكفاء عن ركب التعارف[1] .

–**تضخيم الذات الحضارية:** والمقصود به الادعاء بتفوق حضارة ما، مما يؤدي إلى الشعور بالتفوق والعظمة المفرطة لديها، ولتجاوز هذه العقدة ننطلق من أن الحضارة إنجاز بشري مشترك، ونصرف الجهود نحو إفادة الحضارات من إيجابيات بعضها بعض

[1] محمد مراح ،**نحو رؤية إسلامية لتعارف الحضارات** ،ص–ص 107–108

لفائدة إنسان المستقبل والتفكير في نظرية مستقبلية للتكامل الحضاري يتخلق لها المنظرون بخلق التواضع بوصفه خلقا إنسانيا ساميا وعلميا مطلوبا.

-**نظريات الصراع والصدام بين الحضارات:** الواقع يثبت أن الحضارات عرفت فترات كثيرة من الصراع والصدام سواء المادي أو المعنوي إلا أن ذلك لم يكن اختيار احر الأبناء شعوب الحضارات دائما، بلفي أحيان كثيرة يأتي تلبية لرغبة طغيان سياسي أو عسكري أو مالي أو فئوي أو اضطرار المواجهة هذا الطغيان، أما المبادئ والقيم الحضارية فأكثرها ينحو منحى السلم والتعايش واحترام الإنسان.

ولتخطي هذا العائق علينا إنضاج الأفكار حول نظرية السلم والتعاون بين الحضارات، لأن البشر أكثر ميلا إلى المسالمة والموادعة، ولأن فترات السلم بين الأمم والحضارات أطول من فترات الحرب، كما أن الأديان بدورها تدعو إلى السلم والتآخي والقيم الإنسانية و الإيجابية.

-**هيمنة المفهوم السياسي في مجال العلاقات الدولية:** وه ومجال كما لا يخفى تحكمه مبادئ المصلحة وفرض شروط الأقوى وأحادية النظرة في تحديد المفاهيم وتفسيرها على حساب القيم العليا للإنسانية[1].

ولهذا يتعين على رواد التعارف الحضاري، صياغة مفهوم جديد للعلاقات بين الشعوب والأمم، يتأسس على إنسانية سامية تترفع على المصالح الآنية الضيقة

هذه أهم الصعوبات التي تواجه التعارف، وفي نفس الوقت جملة المقترحات لتجاوزها، وتجدر الإشارة إلى أن نظرية تعارف الحضارات لقيت ترحيبا وتأييدا من طرف النخب الفكرية، وفي هذا الصدد ذهب البعض إلى الإقرار بقيمة ما توصل إليه الميلاد.

[1] محمد مراح ، **نحو رؤية إسلامية لتعارف الحضارات**، ص-ص 109-112

ثالثا: تعارف الحضارات في ميزان التقييم

لقد لقيت نظرية تعارف الحضارات ترحيبا وقبولا ايجابيا في المجال التداولي لدى المهتمين بالفكر الإسلامي، ففكرة تعارف الحضارات: جهد فكري يستحق الاهتمام في معناه الذي يخرج العالم من مأزق الصدام، و هو الذي لم يذهب إلى الحوار، وهو جهد مهم من حيث أهدافه التي تتعدد مستوياته الحضارية والسياسية فتخلق قواعد جديدة للعلاقات في العالم المعاصر، لكن الوصول لهذا الجهد إلى غاياته يحتاج إلى آليات وجهود كبيرة وحثيثة وإلى بيئة مساعدة ذلك أن كثير امن الأفكار المهمة ذات الأهداف الجيدة ضاعت لأنها لم تجد الآليات والبيئة المناسبة لبلورتها وتكريسها[1].

فالتعارف ضرورة ملحة اليوم ليس بين الحضارات فقط بل نحن نحتاج للتعارف بين جميع الأطراف المختلفة والمتعددة لاسيما بين المذاهب الإسلامية، فنحن ندرك حالة الجهل الذي يعيش فيه الكثير من أبناء المذهبين (السنة والشيعة) يبعضهم البعض، ولهذا هم يحتاجون للتعرف على بعضهم البعض أكثر؛ ليهيئوا الأرضية المناسبة للحوار الصحيح فيما بينهم قبل أن يتوجهوا للحوار أو التعارف مع الحضارات الأخرى، كما نشاهد حاليًا من الدعوة للحوار بين الحضارة الإسلامية والحضارة الغربية.

من خلال عملية التعارف هذه يتسع أفق البشر الفكري اتساعا يمكنهم من أن يعرفوا أنفسهم على نحو أفضل، فالبشر جميعا خلقوا من نفس واحدة مصداقا لقوله تعالى: **" يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة** " (النساء 01)[2].

وهناك من أقرب أن الميلاد أظهر قدرة طيبة في استخلاص نظرية يمكن تطويرها وهي أكثر إنصافا وعدلا وفاعلية وتتيح سبيلا نحو فهم أفضل يتيح بناء علاقات سوية بين

[1] شبلي هجيرة: **اشكالية مستقبل العلاقة بين الحضارات زكي الميلاد نموذجا**، ص150

[2] المرجع نفسه ، ص151

الأمم والشعوب وهذه الرؤية تستحق المزيد من الجهود المعرفية والتداول الفكري في سبيل بلورة مشروع حضاري صالح يمهد للقيام بتواصل مثمر، بل يمكن عقد المزيد من الحلقات والندوات البحثية على مستويات مختلفة في سبيل إكتناه الرؤية الأكثر قربا من الإنسان بشكل عام وبما ينسجم مع رسالة الإسلام الموجهة إلى العالم بأكمله "[1].

ونحن بدورنا نؤيد هذه الآراء ونثمنها ونؤمن بأن فكرة تعرف الحضارات مازالت من الأفكار الجديدة، ولكنها في الوقت نفسه من الأفكار الواعدة لأن بمقدورها أن تستوعب كافة صور الجهل أو عدم الفهم ومد جسور التواصل لو تعارف عليها العالم بصورة معمقة وناضجة ولو أتيحت لها فرص التداول والانتشار،لأن هناك مفارقة بين ما هو كائن وبين ما ينبغي أن يكون، فالعالم أصبح أشبه بقرية صغيرة، لكن الواقع يؤكد أن الحضارات لا تعرف بعضها بعضا كما ينبغي.

وهكذا يؤسس الإسلام تعارف الحضارات على قيمتين هما: واجب الاعتراف بأهمية الآخر، وحق الاختلاف عن هوية الآخر، وهنا يصبح التعارف ليس مجرد إطلاع على ما عند الآخر، بل هو في جوهره اقتناع بعدم احتكار الحقيقة تأسيس المشروعية الأخذ والعطاء دون تكبر من المعطي،ودون تنكر من الآخذ، وفي هذا السياق يتأكد التفضيل لكلمة "ليتعارفوا" والتي هي عند زكي الميلاد مصدر القيمة والفاعلية في مفهوم التعارف، فهو المفهوم الذي يؤسس لمفاهيم (الحوار،الوحدة،التعاون) ويحدد لها شكلها ودرجتها وصورتها و هو الذي يحافظ على فاعليتها واستمرارها، هذا من جهة الإيجاب، أما من جهة السلب فإن التعارف كقاعدة وفاعلية بإمكانه أن يزيل مسببات الصراع والصدام، لذا فإن تعارف الحضارات بالمعنى الوظيفي عند "محمد كمال إمام" يتحرك في مسارين:

[1] عبد الواحد علواني ،كيف ننظر لمستقبلنا الحضاري في عالم متغير ؟ **مجلة ثقافتنا** العدد 4http:/ /www.azarshab.com

المسار الأول: تكوين بوظيفته حفظ التنوع باعتباره سنة كونية، والسياق القرآني فيقوله تعالى:" يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر و أنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل" يدعم هذا التنوع لأن الخلق والجعل كلاهما يشير إلى الجبلّة والفطرة.

المسار الثاني: تكليفي، لأن كلمة "لتعارفوا " ليست مجرد توصيف لواقع، بل هي تكليف بواجب، وعليه فإن أمة الإسلام مطالبة بأن تكون الأمة الوسط والأمة القدوة، والأمة المبادرة إلى تفعيل مبدأ تعارف الحضارات، وهذا التفعيل أيضا يتحرك في مسارين:

المسار الأول: يوجب على المسلمين السعي إلى العلم النافع ونفي العلم الضار أي إنهم أمة حضارة بحكم إسلامهم، فتخلفهم إثم، وجمودهم معصية.

المسار الثاني: يوجب على المسلمين ألا يحبسوا ثمار حضاراتهم عليهم، فلا يكتموا علما، ولا يصادروا قلما أمينا، ولا يوصدوا أمام المعرفة بكل أشكالها بابا، وفى هذا يقول أحد المفكرين:" فكما أننا نأخذ من ثقافة الآخرين ونحتاج إلى البقاء على الأخذ منهم،لا من جهة الاطلاع على أسباب المعرفة فحسب، بل أيضا من جهة تقوية العمل التعارف الذي يرجع إليه كما لا لتخلق، فكذلك أن نعطيهم من ثقافتنا ما لا يقدر و نعلى تحصيله بأنفسهم، في هذه الوظيفة المزدوجة تكمن أهمية تعارف الحضارات باعتباره أكبر من مفهوم لأنه في الفضاء الإسلامي العام يعد تأسيس المشروع حضاري يستهدف صحوة الأمة ونهضة العالم[1] .

وربما يصبح مبدأ تعارف الحضارات هو هديتنا للتاريخ العقلي المعاصر، ولكن ذلك الأمل لني تحقق إلا بعدة شروط

الأول: ملكة شجاعة على نقد الذات،لأن قصورنا واضح، وتقصيرنا واقع، ولا يحول دون ذلك الأصول القرآنية لتعارف الحضارات.

[1] محمد كمال الدين إمام.: مصطلح تعارف الحضارات رؤية إسلامية حوار مع زكي الميلاد، ضمن كتاب **تعارف الحضارات**،ص367

الثاني: إيمان لا يتزعزع بأننا أمة ذات رسالة، وينبغي أن يكون إيماننا أقوى من ضعفنا الذي نعانيه، والأمة ذات التاريخ تستفيد من هزائمها، كما تتعلم من انتصاراتها.

الثالث: أ لا يتملكنا الغرور القائل، فنظن أننا نستغني بما عندنا روحيا وماديا عما يملكه غيرنا، فالعقل هو أعدل الأشياء قسمة بين البشر، والحكمة ضالة المؤمن أينما وجدها فهو أحق بها.

إن أول ما يوحي به مبدأ تعارف الحضارات إننا لن نكون وحدنا في هذا العالم، وان حاجتنا لغيرنا،لن تقل عن حاجة

غيرنا لنا، فلن نكتب تاريخنا بقلم واحد، وهو مهما كان ممتلًئا فإن مداده إلى نفاد .وهذا يعني أن "تعارف الحضارات" ليس مقدمة نظرية، بل هو في الرؤية الإسلامية، سنة كونية، و في ظلال تفرقة التي ينبغي أن توجد بين النظام والأحكام، يصبح مبدأ تعارف الحضارات جزءًا من نظام تأتي الأحكام الإسلامية كلها داعمة له، إن "تعارف الحضارات" نظام "قبلي" تقرأ في ضوئه العلاقة بين الوظيفة الحضارية وغاياتها ، وتقرأ في ضوئه العلاقة بين المعرفة باعتبارها نظرية في العلم والتعارف باعتباره واجب إنسانيا عامًا[1].

[1] محمد كمال الدين إمام.: **مصطلح تعارف الحضارات رؤية إسلامية حوار مع زكي الميلاد**،ص-ص367-377

نتائج:

– نظرية تعارف الحضارات مستمدة من طرح إسلامي أصيل في مقابل حوار الحضارات وصدامها.

– توصل زكي الميلاد إلى مفهوم التعارف بعد التأمل المستفيض للآية 13 من سورة الحجرات .

– استند الميلاد في تأسيسه للنظرية على ثلاث مبادئ أساسية . فحص ونقد ومثال، وقياس واختيار.

– جعلت فكرة التعارف من الإسلام مرجعية أساسية له، فالتعارف هو أصل من الأصول الثابتة الحضارة العربية الإسلامية.

–ومن جملة الأهداف التي ترمي إلى تحقيقها نظرية تعارف الحضارات هي التقارب والتسامح وفك عقدة الهيمنة وتجاوز عقيدة الصراع واحترام خصوصيات الآخر.

– هناك جملة من العوائق و التحديات التي تواجه مقولة تعارف الحضارات أبرزها العائق الديني، و تضخم الذات الحضارية.

الخاتمة

خاتمة:

انصبت دراستنا على قراءة المشهد العالمي وما حفل به من علاقات حضارية متعددة من صراع وحوار، في ظل انبعاث الأحادية الفكرية السائدة لدى الحضارة الغربية وانسداد مسالك التواصل بينها وبين بقية الثقافات الإنسانية المعاصرة ، وعلى رأسها الإرث الثقافي للحضارة الإسلامية التي كشفت عن الدور الجوهري الذي قام بها الدين في بنائها .

وبما أن منطق الصدام و الحوار لم يكن هو المنطق الوحيد في عالم الفكر و السياسة , فقد تعالت أصوات الحكمة والتسامح والتعايش والحوار محاولة تصويب الاعوجاج الذي أصاب بعض مفكري الحضارة الغربية .

ومن بين تلك الأصوات السليمة والمثقفة صوت المفكر السعودي "زكي الميلاد" الذي أبدع نظرية تعارف الحضارات والتي تعد بحق نظرية إنسانية تراحمية تحتاج إلى كثير من التأمل والبحث .

إن نظرية تعارف الحضارات تعد منعرج هاما في الفكر عموما وفي الفلسفة خصوصا، فهي مستمدة من القرآن الكريم إذ تعبر عن وحدة الشعوب والثقافات في ظل الاختلاف والتباين .

لقد كانت اشكاليتنا تتمحور حول إمكانية مقولة تعارف الحضارات بان تكون بديلا فعليا لمقولتي الصدام و الحوار، ومن خلال دراستنا المعمقة استخلصنا جملة من النتائج :

- أن التعارف خطاب موجه إلى الناس كافة و إلى المجتمعات , كبيرة كانت أو صغيرة (شعوبا وقبائل)، كما أن مفهوم التعارف أكثر ضبط ودقة من مفهوم الحوار لأن الحضارات لا تتحاور وإن ما تتعارف.
- بوسع التعارف أن يهذب التناقض بين أطروحتي الصدام والحوار.

– نظرية تعارف الحضارات مستنبطة من القرآن الكريم الذي يحث على التسامح والتواصل حتى يحصل الحوار الجاد بين الشعوب والقبائل.

– ولعل أهم نتيجة توصلنا إليها من خلال دراستنا لنظرية تعارف الحضارات تكمن في أنها نظرية تعبر عن روح العصر، وتأتي في ظرف عربي وعالمي يعج بالتطرف و النزاعات.

مما يؤهل لنظرية تعارف الحضارات بأن تكون الحل الأنسب لكل هذه الصدامات الراهنة مثل الربيع العربي والاقتتال في سوريا والانقسام في العديد من الدول العربية حيث أنها نظرية تدعو إلى التعارف في ظل القبول بالأخر واحترام خصوصياته دون الذوبان فيه، وما نظرية التعارف إلا تجسيد للرسالة الإنسانية التي جاء بها ديننا الحنيف.

– لقد عالج "زكي الميلاد " قضية جد شائكة وحساسة لا تزال تثير جدلا حادا, وفي ظل ذلك هناك جملة من الأسئلة التي باتت تطرح نفسها لعله يمكن الإجابة عنها في دراسات لاحقة :

– ما هي الرهانات المستقبلية لتعارف الحضارات؟.

– هل بإمكان نظرية تعارف الحضارات بلوغ التحالف الحضاري المطروح في الساحة العالمية؟.

– هل سيتحقق هذا المشروع الحضاري يوما على ارض الواقع أم أنه سيبقى مجرد فكرة تحملها طيات الكتب؟.

الملاحق

موجز السيرة الفكرية

تنقسم هذه السيرة الفكرية الموجزة إلى قسمين:

القسم الأول: يتحدث عن السيرة الذاتية.

القسم الثاني: يتحدث عن المشروع الثقافي.

القسم الأول: السيرة الذاتية

- زكي عبد الله أحمد الميلاد
- مواليد سنة 1385هـ /1965م، محافظة القطيف، شرق المملكة العربية السعودية.
- متخصص في الدراسات الإسلامية، كاتب وباحث في الفكر الإسلامي والإسلاميات المعاصرة.
- رئيس تحرير مجلة (الكلمة)، فصلية فكرية تعنى بشؤون الفكر الإسلامي وقضايا العصر والتجدد الحضاري، تصدر من بيروت، صدرت سنة 1993م.
- منحه الإتحاد العالمي للمؤلفين باللغة العربية لقب دكتوراه إبداع على مجموع المؤلفات والأبحاث والكتابات والأعمال الفكرية الأخرى، بموجب خطاب بتاريخ 2003/1/25م الموافق 1423/11/23هـ.

عضوية في جمعيات ومؤسسات

- مستشار أكاديمي في المعهد العالمي للفكر الإسلامي، مقره الولايات المتحدة الأمريكية.
- عضو الجمعية العمومية للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية، مقره إيران.
- عضو المنتدى العالمي للوسطية، مقره الأردن.
- عضو اتحاد الكتاب العرب في سوريا.
- عضو الجمعية التركية العربية للعلوم والثقافة والفنون، في أنقره تركيا.
- عضو رابطة كتاب التجديد في الفكر الإسلامي.
- عضو الهيئة الاستشارية لمشروع طباعة مختارات من التراث الإسلامي النهضوي، الذي تشرف عليه مكتبة الإسكندرية في مصر.
- عضو الهيئة التأسيسية لملتقى الأديان والثقافات للتنمية والحوار، مقره بيروت– لبنان.

في الهيئة الاستشارية لمجلات فكرية

عضو الهيئة الاستشارية لعدد من المجلات والدوريات الفكرية والثقافية، من هذه المجلات:

1ـ الحياة الطيبة، مجلة فصلية متخصصة تعنى بقضايا الفكر والاجتهاد الإسلامي، تصدر عن جامعة المصطفى العالمية . فرع بيروت.

2ـ تفكر، مجلة محكمة نصف سنوية تصدر عن معهد إسلام المعرفة بجامعة الجزيرة، السودان.

3ـ المعارج، مجلة شهرية متخصصة تعنى بالدراسات القرآنية وحوار الأديان، تصدر عن منتدى المعارج لحوار الأديان في بيروت ودمشق.

4ـ نصوص معاصرة، مجلة فصلية تعنى بالفكر الديني المعاصر، تصدر عن مركز البحوث المعاصرة في بيروت.

5ـ إسلامية المعرفة، مجلة علمية عالمية فصلية محكمة، يصدرها المعهد العالمي للفكر الإسلامي، من بيروت.

6ـ الحجاج، مجلة فصلية للدراسات متخصصة في التقريب بين الجماعات، وبين الثقافات، وبين الحضارات، تصدر باللغة الفرنسية في بيروت، عن المركز اللبناني للتقريب بين المذاهب الإسلامية.

7ـ تطوير، مجلة دولية أكاديمية فصلية محكمة تعنى بالبحوث الفلسفية والاجتماعية والنفسية، تصدر عن مخبر تطوير للبحث في العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة سعيدة، الجزائر.

8ـ ثقافتنا، مجلة علمية فصلية متخصصة في استئناف مسيرة الحركة الحضارية، تصدر عن مؤسسة الفكر الإسلامي في طهران، وتعد مجلة بحوث علمية محكمة حسب قرار اللجنة التخصصية للعلوم والفنون بجامعة طهران الصادر في 27 أكتوبر 2007م.

9. الحوار الثقافي، مجلة فصلية أكاديمية محكمة، تهتم بالدراسات العلمية في مجال العلوم الإنسانية والاجتماعية، تصدر عن مخبر: حوار الحضارات التنوع الثقافي وفلسفة السلم، بجامعة عبدالحميد بن باديس، مستغانم، الجزائر.

10- الإيمان، مجلة فصلية تعنى بالفكر الإسلامي المعاصر، تصدر عن مركز عين للدراسات والبحوث المعاصرة في النجف الأشرف، العراق.

11- متون، مجلة دورية أكاديمية محكمة تصدر عن كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية جامعة الدكتور الطاهر مولاي، سعيدة، الجزائر.

الأعمال الفكرية

تنقسم الأعمال الفكرية التي أنجزها الأستاذ زكي الميلاد إلى أربعة أقسام، هي:

القسم الأول: المؤلفات، والمنشور من هذه المؤلفات يزيد على (35) كتابا، صدرت في عواصم ومدن عربية وإسلامية عدة، منها: (بيروت، دمشق، عمان، القاهرة، الجزائر، الرياض، القطيف، حائل، أبها، الباحة، قم)، والكثير من هذه المؤلفات صدرت في أكثر من طبعة.

وقد نالت هذه المؤلفات عناية واهتمام الكتاب والباحثين والنقاد والمتابعين للشأن الفكري والثقافي، ولقضايا وشؤون الفكر الإسلامي المعاصر.

وللتعرف على هذه المؤلفات كاملة، وحسب تسلسلها الزمني في الصدور، يمكن الذهاب إلى زاوية المؤلفات.

القسم الثاني: المشاركة في مؤلفات جماعية، والمنشور من هذه المؤلفات يزيد عددها على (30) كتابا صدرت في دول عربية وإسلامية عدة، منها: (مصر، لبنان، الأردن، سوريا، العراق، الجزائر، السعودية، الكويت، السودان، إيران)، وهي مؤلفات مشتركة، وأكثرها

أعمال لندوات ومؤتمرات فكرية وإسلامية تمت المشاركة فيها من خلال أوراق بحثية مكتوبة.

وللتعرف على هذه المؤلفات كاملة، وحسب تسلسلها الزمني في الصدور، يمكن الذهاب إلى زاوية المؤلفات.

القسم الثالث: المؤلفات المحررة، وهي المؤلفات التي قام الأستاذ زكي الميلاد بإعدادها وتحريرها والتقديم لها، وهي حاليا أربعة مؤلفات، صدرت في لبنان وسوريا ومصر.

القسم الرابع: المؤلفات المقدم لها، وهي المؤلفات التي قام الأستاذ زكي الميلاد بإعداد دراسات تقديمية مطولة لها، وهي حاليا خمسة مؤلفات، صدرت ضمن مشروع إعادة إصدار كتب التراث الإسلامي الحديث في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين، التاسع عشر والعشرين الميلاديين، والذي تشرف عليه مكتبة الإسكندرية في مصر.

المؤلفات.. مراجعات ومتابعات

هناك ما يزيد على (126) مراجعة منشورة حول مؤلفات الأستاذ زكي الميلاد، نشرت في صحف ومجلات ودوريات، يومية وأسبوعية وشهرية وفصلية، صادرة في أكثر من (16) دولة عربية وإسلامية، وفي لندن، أنجز هذه المراجعات كتاب وباحثون وأكاديميون ومثقفون من مختلف الدول العربية.

وبعض هذه المراجعات نشرت في عشرات المواقع الإلكترونية الثقافية والإخبارية والاجتماعية، في دول عربية وإسلامية وأوروبية عدة، كما أن بعض هذه المراجعات قدمت في برامج إذاعية وتلفزيونية.

إلى جانب مناقشة هذه المؤلفات في كتب ودراسات فكرية جادة صدرت في عدد من الدول العربية، منها العراق وتونس والجزائر.

وحسب البرنامج الدراسي المقرر في جامعة الكوفة بمدينة النجف الأشرف العراقية، كلية الفقه، قسم العقيدة والفكر الإسلامي، مادة تاريخ الفكر الإسلامي، لمرحلة السنة الأولى، تبين اعتماد كتاب (الفكر الإسلامي.. قراءات ومراجعات)، في هذا البرنامج الذي يمتد إلى ثلاثين أسبوعا يمثل الكتاب حسب عناوين البرنامج، ما يزيد على عشرين أسبوعا.

كما أن بعض هذه المؤلفات خصصت لها جلسات فكرية لمناقشتها، من خلال أوراق فكرية مكتوبة، من هذه المؤلفات كتاب: (هل المثقفون في أزمة؟)، الذي نظمت له اللجنة النسائية في النادي الأدبي بحائل شمال السعودية، جلسة ثقافية لمناقشته، عقدت هذه الجلسة بتاريخ الحادي عشر من شهر محرم 1431هـ الموافق 28 ديسمبر 2009م.

كتاب (محنة المثقف الديني مع العصر)، نشرت حوله (25) مراجعة في صحف ومجلات ومواقع الكترونية، تصدر في مصر ولبنان والأردن والعراق والسعودية وقطر والمغرب والجزائر وبريطانيا.

كتاب (المسألة الحضارية.. كيف نبتكر مستقبلنا في عالم متغير؟) كان موضوعا لرسالة ليسانس في الدراسات الإسلامية باللغة الفارسية سنة 2005م، ونشرت حوله (13) مراجعة في صحف ومجلات ودوريات ثقافية وفكرية عربية.

المقالات والدراسات

نشر الأستاذ زكي الميلاد مئات المقالات، وعشرات الدراسات، في أكثر من (80) منبرا ما بين صحيفة ومجلة ودورية، يومية وأسبوعية وشهرية فصلية ونصف سنوية، صدرت في دول عربية وإسلامية وغربية عدة، منها: (السعودية، الكويت، قطر، البحرين، سلطنة عمان، اليمن، مصر، لبنان، سوريا، الأردن، العراق، المغرب، الجزائر، إيران، ماليزيا، أفغانستان، بريطانيا، أمريكا).

وبعض هذه المقالات والدراسات نشرت في مجلات ودوريات متخصصة ومحكمة، تصدر عن معاهد ومراكز وجامعات.

نشر مقالة أسبوعية في صحيفة عكاظ السعودية، وهي صحيفة يومية تصدر عن مؤسسة عكاظ للصحافة والنشر، زاوية الرأي، وفي الصفحة الثقافية، خلال الفترة ما بين سنة 2003 إلى أبريل 2014م، أي ما يزيد على أحد عشر سنة، وصل مجموع المقالات إلى (591) مقالة.

نشر مقالة أسبوعية في صحيفة الغد الأردنية، وهي صحيفة يومية مستقلة تصدر عن الشركة الأردنية المتحدة للصحافة والنشر في عمان، صفحة دين وحضارة، وصفحة الإسلام والعصر، خلال الفترة ما بين أغسطس 2004 إلى ديسمبر 2008م، وصل مجموع المقالات إلى (121) مقالة.

نشر مجموعة مقالات في صحيفة الأهرام المصرية، ومجموعة مقالات في صحيفة الوطن السعودية، ومجموعة مقالات في صحيفة صدى البلد اللبنانية، ومجموعة مقالات في صحيفة الدستور الأردنية، ومجموعة مقالات في صحيفة الجمهورية اليمنية، ومجموعة مقالات في مجلة صوت الخليج الكويتية، ومجموعة مقالات في مجلة الحوار السعودية، ومجموعة مقالات في مجلة المسلم المعاصر المصرية، ومجموعة مقالات في مجلة الوسطية الأردنية.

ينشر حاليا مقالة أسبوعية في صحيفة اليوم السعودية.

الندوات والمؤتمرات

شارك الأستاذ زكي الميلاد في الكثير من الندوات والمؤتمرات والحلقات الدراسية والفكرية والأكاديمية، العربية والإسلامية والدولية، فاق عددها (90) ندوة ومؤتمرا عقدت في العديد

من العواصم والمدن العربية والإسلامية والغربية، منها: (لبنان: بيروت، طرابلس)، (مصر: القاهرة، الإسكندرية)، (الجزائر: تلمسان، وهران، مستغانم)، (المغرب: الرباط)، (السودان: الخرطوم)، (سوريا: دمشق)، (الأردن: عمان، المفرق، اربد، الكرك)، (السعودية: الرياض، جدة، مكة المكرمة، القطيف، الخبر، الأحساء، الطائف، أبها)، (الكويت)، (البحرين: المنامة)، (قطر: الدوحة)، (إيران: طهران)، (تركيا: اسطنبول)، (ماليزيا: كوالالامبور)، (بريطانيا: لندن)، (أمريكا: واشنطن، شيكاغو).

ونظمت بعض هذه الندوات والمؤتمرات والحلقات وعقدت في عدد من الجامعات العربية والمعاهد الأكاديمية، والمراكز البحثية.

وتولى في كثير من هذه الندوات والمؤتمرات والحلقات رئاسة الجلسات فيها، كما شارك مرات كثيرة في اللجان الخاصة بصياغة البيانات الختامية لهذه الندوات والمؤتمرات، وشارك كذلك في بعض اللقاءات التحضيرية لهذه المؤتمرات، وعضوية اللجان العلمية.

نالت بعض أبحاثه المقدمة في هذه الندوات والمؤتمرات درجة امتياز في تقدير اللجان العلمية المحكمة، ووصفت بعض أبحاثه الأخرى بالتميز، وأعطيت له شهادات شكر وتقدير، واعتبرت بعض الصحف العربية أبحاثه بأنها الأكثر أهمية، وذلك في تغطيتها لأعمال هذه الندوات والمؤتمرات.

قدمت حوله وحول أطروحاته أوراق بحثية في بعض الندوات والمؤتمرات في مصر والجزائر ودول أخرى.

تولى إدارة دورة علمية حول المنهجية الإسلامية، كلفه بإدارتها المعهد العالمي للفكر الإسلامي، عقدت لمدة أسبوع في العاصمة الأردنية عمان، خلال الفترة ما بين 20-27 يوليو 1999م، حضرها ثمانية وعشرون مشاركا من أساتذة الجامعات وطلبة الدراسات العليا من عدد من الأقطار العربية والإسلامية، وحاضر فيها أساتذة كبار من مصر

والأردن والسعودية والولايات المتحدة الأمريكية، وحصل المشاركون على شهادات في نهاية الدورة.

عضو اللجنة التحضيرية والعلمية للمؤتمر العلمي الدولي بعنوان: محمد إقبال وجهوده في الإصلاح والتجديد الفكري، نظمه: المعهد العالمي للفكر الإسلامي والمنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة بالتنسيق مع جامعة عبدالمالك السعدي والمركز المغربي للدراسات والأبحاث التربوية، عقد في العاصمة المغربية الرباط، في الفترة ما بين 5–6 ربيع الأول 1437هـ الموافق 17–18 ديسمبر 2015م.

والجدير بالإشارة أن بعض هذه المؤتمرات الدولية عقدت بناء على طلب منه، وبالتعاون معه، ولمناقشة أطروحته المعروفة (تعارف الحضارات)، مثل مؤتمر: (تعارف الحضارات) الذي نظمته مكتبة الإسكندرية بالتعاون مع مركز الحوار في الأزهر الشريف ومركز الدراسات الحضارية وحوار الثقافات في جامعة القاهرة، عقد في الإسكندرية في الفترة ما بين 15.14 جمادى الآخرة 1432هـ/19.18 مايو 2011م.

الترجمات

ترجمت له الكثير من المقالات والدراسات إلى اللغات الإنجليزية والفرنسية والفارسية، نشرت في صحف ومجلات ودوريات، يومية وأسبوعية وشهرية وفصلية، وما زالت مقالاته ودراساته تترجم وتنشر.

والنصيب الأكبر من هذه المقالات والدراسات تم ترجمته إلى اللغة الفارسية، وهناك ما يزيد على (30) مقالة ودراسة ترجمت إلى هذه اللغة، ونشرت في صحف ومجلات ودوريات يومية وشهرية وفصلية.

إلى جانب هذه المقالات والدراسات، تم ترجمة كتاب (الفكر الإسلامي.. تطوراته ومساراته المعاصرة)، ونشر في أربع حلقات مطولة في مجلة (العلوم السياسية)، وهي كما تعرف عن نفسها: مجلة فصلية متخصصة تصدر عن جامعة الإمام الباقر للتعليم العالي في مدينة قم الإيرانية.

وفي وقت لاحق تم إعادة نشر هذه الحلقات الأربع باللغة الفارسية، في مجلة (الكوثر)، في أربعة أعداد متتالية، وهي مجلة فصلية علمية تصدر في مدينة كابل الأفغانية.

كما ترجم إلى الفارسية أيضا معظم فصول كتاب (الإسلام والمرأة.. تجديد التفكير الديني في مسألة المرأة)، ونشر على صورة مقالات متفرقة في عدد من المجلات الأسبوعية والشهرية، التي تعنى بشؤون المرأة، وبالشؤون الفكرية العامة.

بالإضافة إلى ذلك تمت ترجمة كتاب (المسألة الحضارية)، في إطار إنجاز رسالة علمية لمرحلة الليسانس، أنجزت هذه الرسالة في معهد علمي نسائي بمدينة مشهد الإيرانية.

كما ترجمت له بعض الكتابات إلى اللغة الإنجليزية، ونشرت في بعض المجلات الفكرية الصادرة في الولايات المتحدة الأمريكية، إلى جانب ترجمات أخرى إلى اللغة الفرنسية.

القسم الثاني: المشروع الثقافي

اشتغل الأستاذ زكي الميلاد على مشروع ثقافي له ملامحه المحددة، ومكوناته الواضحة، وأبعاده المميزة، وقد تبلور هذا المشروع وتشكل من خلال رفده بالعديد من المؤلفات والكتابات والدراسات والمقالات، إلى جانب العديد من المشاركات والنشاطات في ندوات ومؤتمرات وحلقات دراسية وفكرية وأكاديمية، بالإضافة إلى حوارات و تواصلات.

ومن مكونات هذا المشروع وملامحه وأبعاده:

أولا: التأكيد على قيمة الثقافة، والإعلاء من شأنها، وإعطائها درجة عالية من الأولوية، والاستلهام منها، والتخلق بها، واعتمادها كمنظور في التحليل والنقد والاستشراف. فالثقافة هي تلك الطاقة والقوة والروح التي تبعث على التجدد والتقدم والنهوض، مع التركيز على الجوهر الإسلامي للثقافة، والاهتمام بأبعادها الإنسانية والأخلاقية والحضارية.

ثانيا: دراسة الفكر الإسلامي، قضاياه ومسائله ومقولاته، وهكذا تطوراته وتحولاته، مساراته ومسلكياته، والتأكيد على مبدأ التواصل مع العصر، ومواكبة العلوم والمعارف، والانخراط في حركة العالم، والعناية بقضايا التجديد والتحديث والتنوير المنضبط بالقواعد والأصول العامة، والذي يتأطر بالمرجعية الإسلامية.

ثالثا: العناية بالمسألة الحضارية، التي تعني النظر إلى القضايا والظواهر والمشكلات على أساس منهج التحليل الحضاري، الذي يأخذ بعين الاعتبار مشكلات التخلف من جهة، وضرورات التقدم من جهة أخرى. فالتخلف بكافة صوره وأنماطه هو المشكلة الأولى والكبرى في الأمة، والتقدم هو السبيل في التغلب على مشكلة التخلف من جهة، والنهوض باتجاه التحضر من جهة أخرى، وهذا يتطلب التأكيد على طلب العلم، وحب المعرفة، وتطوير مؤسسات التعليم، والنهوض بالبحث العلمي، وتقدير العلماء.

قائمة المصادر و المراجع

قائمة المصادر و المراجع:

القرآن الكريم.

اولا: المصادر :

1) زكي الميلاد :**تعارف الحضارات**، ط1، دار الفكر، دمشق،2006

2) زكي الميلاد: **الإسلام و المدنية،الاسلام و المدنية حوارات حول الفكر الاسلامي وقضاياه و مشاكله ومشكلاته**،ط1،دار العربية للعلوم،ناشرون،بيروت،2007

3) زكي الميلاد: **المسألة الحضارية كيف نبتكر مستقبلنا في عالم متغير؟**،ط2،مركز الحضارة لتنمية الفكر الاسلامي ،بيروت ،2008

4) زكي الميلاد: **نحن والعالم من اجل التجديد لرؤيتنا للعالم**،ط1، سلسلة الكتاب 136،مؤسسة اليمامة الصحفية، الرياض،2005.

5) زكي الميلاد، صلاح الدين الجوهري: **تعارف الحضارات رؤية جديدة لمستقبل العلاقة بينالحضارات**،ط1،دار الكتاب المصري ، القاهرة،2014

ثانيا: المراجع

1) محمد ناصر عارف: **الحضارة، الثقافة، المدنية، دراسة لسير المصطلح و دلالة المفهوم**،ط2، المعهد العالمي للفكر الاسلامي، عمان ،1994

2) سليمان الخطيب: **اسس مفهوم الحضارة في الاسلام**،ط1، الزهراء الاعلام العلابي، القاهرة،1986

3) عبد الرحمان بن محمد ابن خلدون: **المقدمة**، تحقيق: علي عبد الواحد وافي،ج1،ط7،دار نهضة مصر للنشر، مصر،2014

4) عبد الرحمان بن محمد ابن خلدون: **المقدمة**، تحقيق: علي عبد الواحد وافي،ج2،ط7،دار نهضة مصر للنشر، مصر،2014

5) محي الدين صابر: **التغيير الحضاري و تنمية المجتمع**، منشورات المكتبة العصرية ،بيروت، **د.ت.**

6) مالك بن نبي: **شروط النهضة**،ط9، دار الفكر، سوريا،2009

7) زياد عبد الكريم النجم: **توينبي و نظرية التحدي و الاستجابة**، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، 2010

8) ويل وايريل ديوارنت: **قصة الحضارة**، تر: زكي نجيب محفوظ،ج1، دار الجيل للطبع و النشر و التوزيع، دت

9) محمد عابد الجابري: **فكر ابن خلدون العصبية و الدولة**،ط6،مركز الدراسات الوحدة العربية،بيروت،1994

10) مالك بن نبي: **أفاق جزائرية**، ترجمة الطيب الشريف، مكتبة النهضة الجزائرية، الجزائر، دت،

11) مالك بن نبي: **ميلاد مجتمع** ،ط6، دار الفكر، سوريا،2006،

12) مالك بن نبي : **مشكلة الافكار في العالم الاسلامي** ،ط3،دار الفكر، سوريا،2009

13) الطاهر سعود: **التخلف والتنمية في فكر مالك بن نبي**، دار الهادي، بيروت، لبنان، 2006

14) مالك بن نبي: **تأملات**، دار الفكر المعاصر لبنان، دار الفكر سورية، 2009

15) مالك بن نبي: **مشكلة الثقافة**، دار الفكر، سوريا، 2006

16) مالك بن نبي :**الظاهرةالقرآنية**،ط9،دارالفكر،سوريا،،2009

17) اوالد شبنجلر: **تدهور الحضارة الغربية**، تر/احمد الشيباني،ج1، دار المكتبة لبنان

18) عبد الرحمان بدوي: **موسوعة الفلسفة** ،ج1،ط1، المؤسسة العربية للدراسات و النشر،بيروت،1984،

19) عبد الرحمان بدوي: **اشبنجلر**، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ،1941

20) محمد ياسر شرف، **إعادة تنظيم العالم– دراسة تحليلية نقدية لأطروحة صامويل هنتغتون في صدام الحضارات**، وزارة الثقافة ،دمشق،2004

21) صامويل هنتغتون: **صدام الحضارات و إعادة بناء النظام العالمي**،ت: مالك عبيد ابو شهيوة، ومحمود محمد خلف، ط 1،الدارالجماهيرية للنشر والتوزيع، ليبيا، ، 1999

22) صامويل هنتغتون : **الإسلام و الغرب آفاق الصدام** ، ترجمة : محدي شرشر،ط1، مكتبة مدبولي، القاهرة،1995

23) طه عبد الرحمان: **حوارات من أجل المستقبل**، ط 1، دار الهدى للطباعة والنشر، بيروت،2003

24) جندلي عبد الناصر: **العلاقات الحضارية في عالم ما بعد الحرب الباردة**، صراع أم حوار، ضمن كتابه التثاقف في من العولمة، إشراف عبد المجيد مرانيا، سرار للطباعة والنشر، باتنة، الجزائر، 2011

25) روجي غارودي: **حوار الحضارات**،ترجمة عادل العوا ، ط 4، عويدات للنشر، بيروت، لبنان، ،1994

26) مجموعة من المؤلفين: **التثاقف في من العولمة** ، إشراف عبد المجيد مرانيا، سرار للطباعة والنشر، باتنة، الجزائر، 2011

27) روجي غارودي: **مشروع الأمل**، ط1، دار الأدب، بيروت، ،1977،

28) رامي كلاوي: **روجي غارودي من الإلحاء إلى الإيمان**، لقاءات و محاضرات، ط1،دار قنيبة للنشر،1990

29) روجي غارودي: **وعود الإسلام**: ترجمة ذوقان قرقوط، ط2، دار الشرقي، بيروت،1985

30) روي غارودي: **الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية**، ترجمة محمد هشام، ط 1، جار الشروق، القاهرة، 1998

31) روجي غارودي: **أصول الأصوليات والتعصبات السلفية**، مكتبة الشروق، القاهرة، 1996

32) روجي غارودي: **لماذا أسلمت؟نصفالقرنمنالبحثعنالحقيقية**،ط1، دراسةم حمد عثمان الخشت، مكتبة القرآن للنشر،القاهرة1999. ،

33) مصطفى النشار : **ما بعد العولمة قراءة في مستقبل التفاعل الحضاري و موقعنا منه**، دار قباء الحديثة للطباعة و النشر والتوزيع، القاهرة، 2007،.

34) مصطفى النشار : **ضد العولمة**، ط2، دار قباء للطباعة و النشر و التوزيع،القاهرة،2001

35) مجموعة من المؤلفين :**كتاب فلسفة التاريخ جدل البداية والنهاية، اشراف وتحرير على الحمداوي، ط1، ابن النديم لنشر و التوزيع، و هران، 2012.**

36) مصطفى النشار: **تطور الفكر السياسي القديم من صولون حتى ابن خلدون**، ط1، دار قباء، القاهرة ، 1999.

37) عبد الله محمد امين: **الرؤية الاسلامية و المسالة الحضارية**، سلسلة كتاب الامة العدد ،153،ط1،قطر،1434هـ

ثالثا : المعاجم و القواميس و الموسوعات

1) ابو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور: **لسان العرب**،المجلد4،دار الصادر،بيروت

2) ابراهيم انيس و اخرون: **المعجم الوسيط**،:معجم اللغة العربية ،ج2،ط2،مطابع دار المعارف،القاهرة،1973

3) انطوان نعمة و اخرون :**المنجد في اللغة العربية المعاصرة**، ط2، دمشق،2005

4) جميل صايبا: **المعجم الفلسفي**،ج1،دار الكتاب اللبناني،بيروت،1982

5) اندري لالاند: **موسوعة لالاند الفلسفية**، تعريب خليل احمد خليل، اشراف احمد عويدات، المجلد الاول، ط2، منشورات عويدات،لبنان،2001،

6) محمد مرتضي الحسيني الزبيدي: **تاج العروس**، تحقيق عبد الكريم الغرباوي، ج 11، اللجنة الفنية بوزارة الإعلام، **بيروت ،1998**

رابعا: المجلات

1) المهدي المنجرة : " الإهانة في عصر الميغا إمبريالية " ، العولمة و حوار الحضارات و الثقافات،**مجلة عالم التربية** ، العدد17: 2007 ، منشورات عالم التربية، الدار البيضاء

2) عبد الواحد علواني ، كيف ننظر لمستقبلنا الحضاري في عالم متغير ؟ **مجلة ثقافتنا**، العدد 4

3) صموئيل هنتغتون، مقالة صدام الحضارات، ترجمة نجوى أبو غزالة، **مجلة شؤون سياسية**، بغداد، العدد الأول، 1994

خامسا: الرسائل الجامعية

1) صحراوي نادية، طاهري زهرة: **الخلفية الدينية لنظرية تعارف الحضارات عند زكي الميلاد**، مذكرة نهاية التخرج لرتبة استاذة تعليم ثانوي ،اشراف ا.قويدري لخضر، قسم الفلسفة، المدرسة العليا للأساتذة، الاغواط، دفعة جوان 2016

2) شبلي هجيرة: **اشكالية مستقبل العلاقة بين الحضارات زكي الميلاد نموذجا**، إشراف أ.د عمراني عبد المجيد، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في فلسفة الحضارة، كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية و العلوم الإسلامية، شعبة الفلسفة جامعة الحاج لخضر– باتنة، 2012-2013.

3)

4) الشريف طاوطاو: **الإنسان في فلسفة رجاء غارودي**، اطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه ، اشراف د. موسى امعيرش ،كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية، قسم الفلسفة ،جامعة منتوري،قسنطينة،2010/2009

5) هدى بوفصية :**دور الدين في بناء الحضارة في فلسفة ارلوند توينبي– المسيحية انموذجا-** ، مذكرة ماجيستير، اشرف د.موسمى عيرش، قسم الفلسفة، كلية العلوم الانسانية و الاحتماعية، جامعة الاخوة منتوري ،قسنطينة، 2008/2007

فهرس المحتويات

الفهرس

المحتوى **الصفحة**

مقدمة..... أ-ط

الفصل الأول: مدخل لمشكلة الحضارة

مدخل 11

المبحث الأول : مفهوم الحضارة..... 12

أولا/ المدلول اللغوي للحضارة..... 13

1/الحضارة في اللغة العربية..... 13

2/ الحضارة في اللغات الاجنبية..... 13

ثانيا: الحضارة في المدلول الاصطلاحي..... 14

1/ الحضارة في الاصطلاح العربي..... 14

2/ الحضارة في الاصطلاح الغربي 16

المبحث الثاني: مشكلة الحضارة في الفكر العربي..... 18

أولا: الرؤية الخلدونية لمشكلة الحضارة 18

1/ أسباب قيام الحضارة و العمران 18

2/مراحل و أطوار الدولة عند ابن خلدون..... 20

ثانيا: مشكلة الحضارة في فكر مالك بن نبي..... 24

1/ مفهوم الحضارة عند بن نبي..... 24

2/ عناصر الحضارة عند مالك بن نبي..... 25

المبحث الثالث : مشكلة الحضارة في الفكر الغربي..... 31

أولا: الحضارة من منظور شبنغلر 31

1/ المدنية و الحضارة في فلسفة شبنجلر الحضارية..... 31

2/ منهج شبنغلر في دراسة تاريخ الحضارة..... 33

ثانيا: الحضارة في فلسفة ارلوند توينبي..... 34

1/ مفهومه للحضارة..... 34

2/ الحضارة و نظرية التحدي و الاستجابة..... 35

نتائج..... 40

الفصل الثاني: الرؤية المستقبلية للعلاقة بين الحضارات من صدأ الصدام و الحور إلى صدأ التعارف

مدخل..... 43

المبحث الأول: هنتغتون و صدام الحضارات..... 44

أولا: مفهوم صدام الحضارات..... 44

1/المعنى اللغوي للصدام 44

2/ المعنى الاجرائي للصدام..... 44

3/مفهوم صدام الحضارات..... 44

ثانيا: عرض فكرة صدام الحضارات عند صامويل هنتغتون..... 45

1/ منطلقات صدام الحضارات عند صامويل هنتغتون.....46

2/ أبرز الأفكار الأساسية لأطروحة صدام الحضارات عند هنتنغتون..... 50

3/ أسباب الصدام بين هذه الحضارات..... 52

المبحث الثاني: حوار الحضارات الفكرة والمشروع..... 56

أولا: مفهوم الحوار..... 56

1/الحوار في اللغة..... 56

2/اصطلاحا..... 56

3/ مفهوم حوار الحضارات..... 57

ثانيا: عرض نظرية الحوار عند روجيه غارودي..... 58

ثالثا: مبررات التوجه لحوار الحضارات..... 63

المبحث الثالث :تعارف الحضارات كبديل..... 67

أولا: ظهور نظرية تعارف الحضارات..... 67

ثانيا: نقد زكي الميلاد لمقولتي الصدام و الحوار..... 69

1/نقد زكي الميلاد لمقولة الصدام..... 69

2/ نقد زكي الميلاد لنظرية حوار الحضارات عند غارودي..... 73

نتائج..... 77

الفصل الثالث: تجليات نظرية التعارف عند زكي الميلاد

مدخل..... 79

المبحث الأول: مفهوم التعارف الحضارات ومقوماته..... 80

أولا: تعريف مقولة تعارف الحضارات..... 80

1/ معنى التعارف في الغة..... 80

2/ التعارف اصطلاحا..... 80

3/ الفرق بين التعارف و الحوار..... 82

ثانيا: أسس مفهوم تعارف الحضارات عند زكي الميلاد:.....83

1/الفحص والنقد..... 84

2/ الأصل و المثل 87

3/ القياس والاخبار..... 87

ثالثا / الخلفية الدنية لنظرية التعارف..... 88

المبحث الثاني: شمولية الرؤية في نظرية التعارف و أبعادها الإنسانية..... 95

أولا: الكونية الاسلامية و رؤية العالم..... 95

ثانيا: الكونية الإسلامية و تعارف الحضارات..... 96

ثالثا : المرامي الانسانية و الحضارية في نظرية تعارف الحضارات..... 97

المبحث الثالث : تعارف الحضارات رؤية و واقع..... 102

أولا: مقولة تعارف الحضارات و الأنساق المعرفية المقابلة والمشابهة..... 102

1/ تعارف الحضارات في مقابل مقولة الصدام..... 102

2/التشابه بين نظرية تعارف و نظرية هابرماس التواصلية..... 104

ثانيا : التحديات التي تواجه مقولة تعارف الحضارات..... 106

ثالثا: تعارف الحضارات في ميزان التقييم..... 109

نتائج..... 113

الخاتمة..... 114

ملاحق.....117

قائمة المصادر و المراجع..... 129

فهرس المحتويات 135